الفصل الثاني: المنطلقات النظرية للدراسة

أولاً- الارتقاء المعرفي.

تمهيد.

١- أهمية نظرية بياجيه في الارتقاء المعرفي.

٢- المفاهيم الأساسية في نظرية بياجيه.

٣- مراحل نظرية بياجيه.

٤- عوامل الارتقاء المعرفي.

ثانياً- التمركز حول الذات.

تمهيد.

١- نظرية دافيد الكيند حول التمركز حول الذات خلال مرحلة المراهقة.

٢- نظرية فرويد.

٣- نظرية لابسلي حول التمركز حول الذات.

٤- بعض نقاط الالتقاء بين نظرية فرويد ونظرية لابسلي.

٥- بعض أوجه الشبه والاختلاف بين نظرية الكيند ونظرية لابسلي.

ثالثاً- الهوية.

تمهيد.

١- مفهوم الهوية.

٢- نظرية أريكسون في النمو النفسي الاجتماعي.

٣- حالات الهوية.

٤- الخصائص المميزة لكل حالة من حالات الهوية.

٥- العوامل المؤثرة في تشكيل الهوية عند المراهق.

الفصل الثاني

أولاً- الارتقاء المعرفي

تمهيد:

تعرض الباحثة فيما يلي بعض الأسباب التي تستمد منها نظرية بياجيه Piaget أهميتها، إضافة إلى ذكر الأسباب التي دعت للاستناد في دراستها إلى نظرية بياجيه في الارتقاء المعرفي.

وبعدها ستعرض المفاهيم الأساسية في نظرية بياجيه في الارتقاء المعرفي،ومن ثم عرض لمراحل نظرية بياجيه وسوف يتم التركيز على المرحلة الأخيرة من مراحل الارتقاء المعرفي والمعروفة بمرحلة العمليات الشكلية والتي يتزامن ظهورها مع بداية مرحلة المراهقة وذلك نظراً لأن مشكلة الدراسة الحالية تنبثق من اختبار العلاقة بين العمليات الشكلية وبين متغيرات الدراسة الأخرى المتمثلة بالتمركز حول الذات وحالات الهوية، وأخيراً سيتم عرض العوامل المؤثرة على الارتقاء المعرفي طبقاً لبياجيه.

١- أهمية نظرية بياجيه في الارتقاء المعرفي:

على الرغم من وجود نظريات عديدة حاولت تفسير السلوك الإنساني والتركيز على جوانب التفكير. إلا أن نظرية بياجيه في النمو المعرفي ما زالت من أهم النظريات في علم النفس بشكل عام وعلم نفس النمو بشكل خاص.

وترجع أهمية نظرية بياجيه إلى:

أ- اختلافها عن النظريات الأخرى، والذي يتضح في كونها:

- تركز على التطور بدلاً من التعلم بذاته لذا فإنها لا تتصب على تعلم المعلومات أو سلوكيات محددة.

- تفترض مراحل متميزة من التطور بحيث تختلف اختلافات نوعية بدل من الزيادة التدريجية في عدد السلوكيات والمفاهيم والأفكار ودرجة تعقيدها. (Driscoll,2002,Internet)

- تتصف هذه المراحل بالعالمية من الوجهة الثقافية.(محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،٢٢٦).

- تفرد بياجيه في التركيز على التشابه بين الأطفال في الأعمار المتساوية تقريباً بدلاً من التركيز على التفرد والاختلاف الذي يميز كل طفل عن غيره.(Birch,1997,65)

ب- أنها من النظريات البنائية Structualism التي تهتم بدراسة وتفسير الآليات والعمليات التي يبنى بها العقل بدءاً من مرحلة الرضاعة فالطفولة فالمراهقة. وما تتميز به من عمليات عقلية تمكن المراهق من التفكير بالفرضيات والموضوعات المجردة (ليلى كرم الدين،١٩٩٧، ٣٦)&(Driscoll,2002,Internet)

وهناك عدد من العوامل المعاصرة التي نعيشها تجعلنا نهتم بالمعرفة البنائية تتلخص في:

- أننا نعيش عصر الانتقال من المعرفة المنقولة إلى المعرفة البنائية .
- تغير أدوات ووسائط المعرفة، نتيجة للانقلاب في المعلومات.
- كثرة الحديث عن عصر المعلومات ومجتمعات المعرفة. (ليلى كرم الدين،١٩٩٧، ٥٢).

وبذلك فإن نظرية بياجيه من النظريات المهمة التي تستمد أهميتها من عدد من الأسباب منها ما يتعلق باختلافها عن النظريات الأخرى ومنها ما يتعلق بعدد من العوامل المعاصرة التي تجعلنا نهتم بها لأنها من النظريات البنائية.

وربما يمكن القول إن نظرية بياجيه نظرية قديمة حديثة، قدمت لنا الكثير من المعلومات المفيدة في فهم الطفل وتفكيره، وربما يمكن اعتبارها من النظريات الشاملة التي اتسعت لتشمل نواحي النمو النفسي من منظور معرفي.

وقد ارتأت الباحثة أن تستند في دراستها على نظرية بياجيه في الارتقاء المعرفي نظراً لما تم ذكره من أهميتها بالاضافة للأسباب التالية :

تتناول الدراسة الحالية مرحلة المراهقة، وهذه المرحلة طبقاً لأريكسون Erikson مرحلة اكتساب إحساس واضح بالهوية، وطبقاً لبياجيه هي مرحلة الانتقال إلى مرحلة العمليات الشكلية، ومن ثم فإن هناك ترابطاً وتفاعلاً بين جانبي النمو المعرفي والنفسي الاجتماعي بل وجوانب النمو الأخرى لأن النمو مفهوم تكاملي تبادلي، فهناك تأثير وتأثر،إذ لا يمكن لأي جانب من جوانب النمو أن ينمو مستقلاً عن الجوانب الأخرى إنما لابد من اتساق وتكامل هذه الجوانب كافة.

- طبقاً لكل من أريكسون وبياجيه فإن العمليات الشكلية مطلب أساسي لتشكيل الهوية. (Adams &Gullotta &Montemayor,1992,179).

حيث يعدّ أريكسون المرحلة الشكلية مرحلة الانشغال بالتفكير الافتراضي، وبالاحتمالات، وبمنطق القضايا وإقامة العلاقات، وهذه المرحلة متممة لمرحلة تشكيل الهوية التي تتطلب من المراهق البحث عن المعلومات واختبارها وتقييمه، والاختيار من بين البدائل المحتملة، وتأملها للوصول الى الالتزام والتعهد.(Erikson,1968,245)

وكذلك يشير بياجيه إلى أن تشكيل الشخصية لا يتم إلا مع هذه المرحلة عندما يبنى التفكير الشكلي، وعندما يستطيع الفرد استخدام تفكيره التأملي ليكون افتراضاته الخاصة ويختبرها فينشأ نظامه الخاص من القواعد والقيم.(Piaget,1967,65)

– نظراً لأن مشكلة الدراسة تقوم على وجود تناقض في نتائج الدراسات حول العلاقة بين العمليات الشكلية وحالة الهوية،وحول اتجاه هذه العلاقة.

– نظراً لأن الدراسة تتضمن التمركز حول الذات عند المراهق وفق الكيند Elkind الذي يستند في تفسيره لهذا المتغير إلى مرحلة العمليات الشكلية في نظرية بياجيه.

ومن الجدير بالذكر أن مفهوم التمركز حول الذات مفهوم افترضه بياجيه في كتاباته. وعمل الكيند على تطوير هذا المفهوم وتفسيره.

ولما كانت الدراسة الحالية تستند إلى نظرية بياجيه فمن الضروري التعرف على المفاهيم الأساسية في هذه النظرية.

٢– المفاهيم الأساسية في نظرية بياجيه:

– المخطط: Scheme

يرى بياجيه أن الطفل يولد مزوداً بعدد من المخططات الفطرية التي تنسجم مع الاستجابات المنعكسة كمخطط المص والنظر والقبض وغيرها، ويعدّ تشكل هذه المخططات المبكرة اللبنات الأساسية للتفكير،لأنها وسيلة الطفل في التفاعل مع البيئة حوله. ومع تطور الطفل ونتيجة استجابته للبيئة تندمج هذه المخططات، مشكلة مخططات جديدة أكثر تعقيد. (Birch,1997,66).

والمخططات هي نماذج وتنظيمات عقلية تنشأ عن طريقة العقل في تمثل المظاهر المميزة للأفعال والنشاطات الجسدية والعقلية، تعمل على توجيه سلوك الأطفال والراشدين في تفاعلهم وإدراكهم للبيئة حولهم. &(Bhattacharya,Han,2001,internet) (Slavin,1997,32).

وبلغة أكثر تفصيل فإن المخطط : بناء معرفة عامة يستخدم للفهم، والاستيعاب وهو بناء لأنه لا يتكون من مجموعة حقائق فقط، إنما من كيفية ارتباط هذه الحقائق أيضاً.وتعدّ هذه المعرفة عامة أي لا ترمز لمعلومات حول موقف واحد. إنما تشير لمعلومات حول نموذج خاص من الموقف، فالمعرفة ليست معطيات العالم ، إنما هي معرفة أحد الأشخاص للعالم حوله. وهي ليست أجزاء من المعرفة جامدة التماسك، إنما هي أنساق أو شبكات من المعلومات المنظمة المتفاعلة ، التي تم استيعابها. كما أنها ليست ثابتة إنما متكيفة، ومرنة يمكن تعديلها دائماً وفقاً للعالم المحيط. نظراً لحدوث عمليات جديدة من التمثل والمواءمة في

المواقف البيئية المختلفة والتي تدل على استعداد الكائن العضوي في أي وقت للتكيف للظروف والمشكلات الجديدة.(Ross & Medin,1997 : 298)

ويطرأ على المخططات العقلية تغيرات بحيث:

١- تتمايز المخططات ويؤدي التمايز المتزايد لها إلى توسيع نطاق القدرات لدى الفرد.

٢-تتكامل المخططات في تنظيمات هرمية أكثر تركيباً وتعقيداً. ما يجعل سلوك المرء أكثر استقراراً وأكثر قابلية للتحكم والضبط. (فؤاد أبو حطب وآمال صادق ،١٩٩٠،١٧١).

وبذلك يتضح أن المخططات هي اللبنات الأولى لاكتساب المعرفة وتطور التفكير. يولد الفرد مزوداً بمخططات فطرية مبكرة مكونة من انعكاسات بسيطة، تتطور وتتكامل نتيجة تطور الطفل وتصبح أكثر فعالية وتنظيم، مشكلة مخططات جديدة أكثر تعقيداً بسبب حدوث عمليات جديدة من التمثل والمواءمة . و بهذا فإن المخطط بناء غير ثابت إنما مرن متكيف وقابل للتعديل ويكون وسيلة الفرد في التكيف مع بيئته.

- البنية العقلية Mental Structure :

البنيات المعرفية: نماذج من (الأنشطة)الأفعال العقلية التي نفكر من خلالها،وتنسجم مع مراحل نمو الطفل. بحيث تتشكل من تفاعل الطفل مع الأشياء الحسية المادية، فالمخططات التي يطورها الطفل للأشياء التي يراها تشكل المادة الخام لأبنية عقلية مستقبلية، لذلك فإن غياب هذه المخططات يؤثر في تطور هذه البنيات. (Huitt, Hummel,1998,Internet) &(يوسف قطامي،٢٠٠٠،٧٣،٤٧).

وبمكن القول بأن البنيات العقلية نظام يقوم على الربط المنطقي للأشياء المادية، والأحداث، والأفكار بعضها مع بعضها الآخر، بحيث تمكننا من فهم العالم من حولنا.(فيليبس،٢٠٠٠،٩).

- الوظائف المعرفية:

يتضمن النمو المعرفي وظائف بيولوجية ثابتة وعناصر متغيرة. وتعدّ الوظائف المعرفية وظائف بيولوجية ثابتة لا تتغير مع النمو، بحيث يولد الإنسان مزوداً بها، ويتشترك بها مع جميع الكائنات العضوية. وتلعب هذه الوظائف المعرفية دوراً نشطاً في العملية المعرفية وذلك من خلال عمليتي التكيف والتنظيم.(جان بياجيه، ١٩٥٤،١٣،١٢).

أ-التكيف:Adaptation

يشير التكيف إلى ميل موروث يؤدي إلى تغيرات على المستوى البنائي والوظيفي لدى الفرد ينتج عنه بقاء الكائن في البيئة المحيطة به.(فؤاد أبو حطب وآمال صادق، ١٩٩٠،١٦٧).

ويذكر بياجيه: " أنه عندما يتحول الكائن العضوي تبعاً للبيئة، ويفضي هذا التغير إلى زيادة العناصر المتبادلة بين البيئة والكائن العضوي على نحو يلائم استمراره في البقاء فإننا نكون بصدد التكيف كعملية." .(جان بياجيه، ١٩٥٤،١٣،١٤).

وطبقاً لبياجيه " فإن الخصائص الوظيفية الثابتة للنشاط العقلي هي نفسها الخصائص الوظيفية الثابتة للنشاط البيولوجي. فالنشاط الوظيفي العقلي هو مجرد امتداد للنشاط الوظيفي البيولوجي. و له خصائص النشاط البيولوجي نفسها". (سيد الطواب ،١٩٩٥،١٧٦).

بمعنى أن النشاط العقلي يتضمن العمليات نفسها التي يتضمنها النشاط البيولوجي، وعلى اعتبار أن عمليتي التمثل والمواءمة من العمليات التي يتضمنها النشاط البيولوجي فإن تلك العمليتين من المكونات الرئيسية للنشاط العقلي.

حيث يذكر بياجيه: أن التكيف ماهو إلا نوع من التوازن بين عمليتي التمثل والمواءمة، وأن عمليتي التكيف والتنظيم وجهان لعملة واحدة ، بحيث يمثل التكيف المظهر الخارجي على حين يمثل التنظيم المظهر الداخلي لهذه العملية. ويكونان معاً وظيفة تامة ويتوقف كل منهما على الآخر.(جان بياجيه،١٩٥٤،١٣،١٤،١٦،١٧).

مما سبق نجد أن التكيف عملية فطرية موروثة ، توجد مع الفرد منذ ولادته وتعمل للحفاظ على بقائه. ويتم من خلال هذه العملية تعديل وبناء بنيات معرفية استجابة للمتطلبات البيئية المحيطة. وتكون عملية التمثل وعملية المواءمة السبيل لذلك.

وسوف يتم توضيح هاتين العمليتين:

- **التمثل:Assimilation**

التمثل هو: عملية تخزين وتفسير المعلومات الجديدة بطريقة تتوافق مع البنى العقلية الموجودة.(Nielsen,1996,84)

كما يعرف التمثل علىأنه عملية ادماج الموضوعات أو الخبرات الجديدة في مخططاتنا الذهنية على صورة بنى معرفية. .(يوسف قطامي،٢٠٠٠،٧٦).

أو هو عملية تتضمن محاولات تنظيم مخططات موجودة لفهم أفضل للأحداث في العالم الخارجي. (Bhattacharya,Han,2001,internet)

أما بياجيه فيعرفه على أنه: "إدخال المعلومات الجديدة في نطاق ما سبق معرفته". (جان بياجيه،١٩٥٤،١٥).

كما عرفه بارون Baron بأنه الميل لأن نلائم المعلومات الجديدة في البنيات العقلية الموجودة مسبقاً لفهم العالم في سياق المفاهيم الموجودة.(Baron,1992,295).

وبذلك فإن التمثل عملية عقلية يشترك فيها الجنس البشري كافة، ويتم من خلالها إضافة واستدخال ما يواجهه الفرد من معلومات وخبرات جديدة إلى البنيات العقلية

الموجـــــودة مسبقـــاً لديه.

غير أن عملية الإضافة والاستدخال هذه ليست مجرد عملية إضافة نقية للمعلومات والمثيرات كما هي في البيئة، إنما تتضمن عملية الإضافة هذه تكيف وتعديل لهذه المعلومـــات حتى تتناسب مع ما هو متوافر لدينا من مخططات وبنى عقلية. ومن ثم فإن أسلوب وطريقة تعديل المعلومات الجديدة تختلف من فرد لآخر وفق ما لديه من بنى معرفية مسبقة.

وربما يعدّ ذلك أحد مصادر الأخطاء المعرفية. لأن التمثل ليس بالعملية السلبية التي تقتصر على تسجيل المثيرات البيئية كما هي، إنما هي عملية عقلية نشطة تتضمن كلاً من التحليل والتركيب والإدراك الذين ينعكسون في تغيير وتعديل المثيرات الخارجية حتى تتم عملية التكامل بين الخبرات الجديدة والخبرات السابقة الموجودة لدى الفرد. (فؤاد أبو حطـــب وآمال صـــــادق ،١٩٩٠،١٦٧) . (محمد الســيد عبد الرحمـــن،٢٠٠١،٢٢٣). (Bjorklund,1989,20)

ويستخدم مصطلح التمثل في المجال البيولوجي بشكل عام وفي بناء الجسم بشكل خاص لذلك تعدّ عملية هضم الطعام مثالاً نموذجياً على عملية التمثل المعرفي.

فالطعام بكل أنواعه يتعرض في مختلف أعضاء الجهاز الهضمي لعمليات معينة بحيث يستطيع الجسم امتصاصه، ومن ثم الاستفادة منه في بناء وتكوين الجسم، وبالمثل فإن المعلومات تتعرض لعمليات معينة بحيث يتم تحويلها وتعديلها في ضوء البنى المعرفية الموجودة مسبقاً. (فؤاد أبو حطب و آمال صادق ،١٩٩٠،١٦٧).

مما سبق نجد أن التمثل: عملية عقلية نشطة تعمل على تعديل و تكييف ما يواجهه الفرد من خبرات ومثيرات بيئية جديدة لتتوافق مع ما هو موجود لدى الفرد مسبقاً من بنى معرفية وينعكس ذلك في شكل ناتج معرفي، جديد، ومألوف ومتكيف مع النسق المعرفي الموجود مسبقاً عند الفرد.

- **المواءمة: Accomodation**

المواءمة هي :عملية عقلية يتم خلالها تعديل وتحديث مخططاتنا العقلية لإدراك خبرات ومعلومات جديدة.(Nielsen,1996,84)

كما تعرف على أنها: عملية تعديل الطفل لتصوراته للعالم كخبرات جديدة ما يؤدي إلى تغيير بناء المعرفة لديه". (محمد جهاد جمل،٢٠٠١،٤٨).

وتعرف أيضاً على أنها عملية تتضمن تغيير بالمخططات الموجودة مسبقاً للتكيف مع الموقف الجديد(Bhattacharya,Han,2001,internet)

فمثلاً : "يكون للرضيع رد فعل انعكاسي هو القبض(القبض على الأشياء الموجودة في راحة يده). وهذا الفعل الانعكاسي الموجود لديه يمكن أن يطبقه على أشياء مختلفة تتواءم بسهولة مع

يده. فهو يستطيع القبض على مقبض الخشخيشة ، اصبع الأب . وهذا كله تمثل. فالوليد هنا يدمج المعلومات في المخطط الموجود لديه، وهذا الطفل نفسه ، إذا قدمت له كرة صغيرة ، فإن عليه إجراء بعض التعديلات القليلة في حركات يده ليتمكن من استخدام مخطط القبض مع هذا الشيء الجديد(الكرة).وهذه التعديلات تكون أساس المواءمة ، حيث يمكن للطفل هنا أن يدمج المعطيات الجديدة بتعديل مخططاته المسبقة". (Bjorklund,1989,20,21).

وتحدث هذه العملية كوسيلة للتكيف تجاه ما نعانيه من تنافر معرفي وعدم توازن يحدثان بسبب من الخبرات والمثيرات الجديدة التي لم نستطع تمثلها وتفسيرها وفق ما لدينا من مخططات.(Nielsen,1996,84) &(Bjorklund,1989,20)

وتعدّ عمليتا التمثل والمواءمة عمليتين متعاكستين متكاملتين، والعلاقة بينهما تبادلية. فمن خلال تعريف كل من العمليتين يتضح أن الآلية التي تعمل وفقها العملية الأولى على عكس الآلية التي تعمل وفقها العملية الثانية . ففي حين يمثل التمثل تعديلاً وتغييراً في المثيرات الخارجية لتتناسب مع المخططات الموجودة مسبقاً لدى الفرد بمعنى أن التغيير والتعديل يتناولان ما هو خارج الفرد. فإن المواءمة تبدو على عكس التمثل حيث تنعكس هذه العملية في تعديل وتغيير في المخططات الموجودة في البناء العقلي الداخلي للفرد لتتناسب مع المثيرات الخارجية، بمعنى أن التغيير والتعديل يتناولان الفرد نفسه.

حيث يذكر بياجيه: " إن عملية المواءمة ليست ممكنة على الإطلاق إلا إذا كانت مرتبطة بعملية مضادة لها وهي عملية التمثل . كما أن التكيف لا يعدّ كاملاً إلا إذا كان هناك توازن بين التمثل والمواءمة.(جان بياجيه،١٩٥٤،١٦،١٧).

ويعكس سلوك الفرد العمليتين معاً. فلا يوجد سلوك ناتج عن عملية التمثل فقط كما لا يوجد سلوك ناتج عن عملية المواءمة فقط.

حيث يذكر بياجيه: " أنه ليس من المعقول أن تكون الحياة العقلية تمثيلاً فقط، وذلك لأن الذكاء إذا أدمج العناصر الجديدة في الصور الإجمالية العامة السابقة فإنه يحور هذه الصور دائماً حتى يطابق بينها وبين الجديدة. وأن إدراك أي شيء يتطلب نوعاً من التركيب الذي يعتمد في آن واحد على كل من عمليتي التمثل والمواءمة.(جان بياجيه،١٩٥٤،١٦،١٧).

فنحن لا نستطيع أن نتمثل فقط طيلة الوقت لأننا إذا فعلنا ذلك فإننا لن نكتسب أي مفاهيم جديدة.

ولا يمكننا أن نتواءم كل الوقت لأننا إذا فعلنا ذلك فإن كل شيء نواجهه سيبدو جديداً ومن ثم لن يتم تطوير أي معرفة ولن يكون للفرد أي رصيد معرفي.

وتلعب كل من عمليتي التمثل والمواءمة دوراً مهماً في النمو المعرفي، فالآلية التي تعمل وفقها عملية التمثل من حيث إضافة معلومات جديدة بطريقة تتناسب مع ما هو موجود مسبقاً

تؤدي إلى تراكم معرفي أو ما يمكن تسميته بالتطور الكمي المعرفي في الأبنية الموجودة فعلاً ما ينعكس بدوره في عملية النمو. أما الآلية التي تعمل وفقها عملية المواءمة من حيث تغيير وتحديث المخططات الموجودة أصلاً فإنها تؤدي إلى ما يمكن تسميته بالتطور الكيفي المعرفي في شكل ومضمون هذه المخططات، ينتج عنه تغير في الأبنية المعرفية ومن ثم الانتقال إلى مراحل معرفية أعلى.

وبذلك يمكن القول إن: "عملية المواءمة هي القوة التي تدفع التطور للأمام". (Matlin,1995,310).

وعلى الرغم من أن عملية المواءمة تدريجية في معظم الحالات ، إلا أنها تظهر أحياناً في بعض الفترات بشكل يؤدي فيها الأثر المستمر للمواءمات المتتابعة إلى إعادة إنتاج تنظيم البنى المعرفية ، الذي يتسم بالمفاجأة والجدة النسبيين. وهذه القفزات تميز الانتقال السريع بين مراحل النمو الكبرى الأربع في نموذج بياجيه. (فؤاد أبو حطب وآمال صادق ،١٩٩٠،١٦٨).

ومن الجدير بالذكر أن البياجيين يقرون بأننا أحياناً نرفض أن نعدل ونغير مخططاتنا وربما يعدون ذلك على أنه العامل وراء بقاء بعض المراهقين والأطفال في مراحل منخفضة من النمو المعرفي بالمقارنة مع أقرانهم. (Nielsen,1996,84)

مما سبق نجد أن المواءمة: عملية عقلية معاكسة للتمثل. تتضمن تعديل وتكييف البنى المعرفية الموجودة لتتوافق مع الخبرات الجديدة ما يؤدي مع الوقت إلى إعادة تشكيل البنى المعرفية مما ينعكس بدوره في الانتقال إلى مراحل معرفية أعلى.

ب- التنظيم:

ويقصد به ميل موروث لتكوين أبنية معرفية معقدة من خلال دمج وجمع وتكامل العمليات والأبنية النفسية والجسمية البسيطة في نظم وأنساق مترابطة ومتماسكة. (محمد عماد الدين اسماعيـــل،٢٠٠١، ١٢٠، ج١). (ليندال .دافيدوف، ٢٠٠٠، ٩٥).

كما يعرف على أنه عملية معرفية يجري فيها تكوين أبنية معرفية معقدة من خلال أبنية معرفية أبسط منها.(يوسف قطامي،٢٠٠٠،٧٦).

حيث يذكر بياجيه: " أنه كل صورة اجمالية عامة تتسق مع جميع الصور وتكون في ذاتها وحدة تامة ذات أجزاء مختلفة." .(جان بياجيه،١٩٥٤،١٧).

فامتلاك الرضيع لمخطط مستقل(المص) ومخطط مستقل آخر(حركات اليد والذراع) سوف يؤدي بعد مدة وجيزة الى أن يتكامل هذان المخططان مشكلين نسقاً أكثر تعقيداً على شكل مخطط مص الإبهام. ومص الإبهام ليس مخططاً فطرياً إنما يمثل مخططاً تنظيمياً أعلى نتج عن تكامل المخططين الفطريين المستقلين.(Bjorklund,1989,20).

وبذلك فإن التنظيم كما يرى بياجيه هو: "أنشطة الكائن الحي المتآزرة كما تتحدد بالعوامل الوراثية والتفاعلات مع البيئة ، ومستوى النضج. و يزداد تزايد تنظيم العمليات العقلية عند الإنسان وينمو عن طريق مراحل كالسلوك المنعكس، والاستجابات للإثارة المباشرة ، ويصبح الطفل تدريجياً قادراً على الحفاظ على بقاء ذاته وعلى تجديدها والتأمل في أفكاره".(جابر عبد الحميد جابر، علاء الدين كفافي، ١٩٩٢، ٢٥٤٠، ج٥).

مما سبق نجد أن: تكامل مخططين أو أكثر في نظام واحد متآلف ومترابط ومتماسك مع غيره من الأنظمة هو ما نطلق عليه،عملية التنظيم . ورغم أن هذه العملية فطرية موروثة، إلا أنها تختلف من فرد إلى آخر حسب عوامل بيئية يحددها أسلوب الفرد في التكيف.

وتشكل كل من عمليات التنظيم والتمثل والمواءمة وجوهاً مختلفة لعملية واحدة هي التكيف مع العالم الخارجي أو احتفاظ الفرد بتوازنه وانسجامه مع البيئة الطبيعية التي يعيش فيها، فهم يحدثون معاً في آن واحد خلال عملية معالجة المعلومات والأفكار.(محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،٢٢٤).

٣- مراحل نظرية بياجيه:

جان بياجيه واحد من أوائل العلماء في علم نفس النمو، تمكن مع معاونيه من دراسة جميع جوانب النمو العقلي دراسة شاملة متكاملة عميقة ومستفيضة مستخدماً الطريقة الاكلينيكية التي مكنته من تقديم صياغة نظرية مهمة وفريدة للذكاء من منظور نمائي حدد فيها العمليات العقلية المميزة لكل مرحلة من مراحل النمو بدء من الولادة ووصولاً إلى مرحلة المراهقة.(ليلى كرم الدين،١٩٩٧،٣٣).

وطبقاً لبياجيه فإن لكل مرحلة من مراحل الارتقاء المعرفي بنى عقلية وخصائص تميزها عن غيرها من المراحل، وتعدّ كل مرحلة أساساً للمرحلة التي تليها، بحيث يتقدم كل أفراد الجنس البشري من مرحلة إلى أخرى بترتيب متعاقب دون القفز أو الارتداد إلى أي مرحلة ضمن الظروف الطبيعية. (Kuther, February/1:2001,Internet)

وهذه المراحل هي:

أ- المرحلة الحسية الحركية:Sensorimotor

يرى بياجيه أن إدراك الطفل للعالم حوله في هذه المرحلة ما هو إلا نتيجة تفاعل كل من المدخلات الحسية (السمع والبصر) والمدخلات الحسية الحركية(القبض، والمص).ولذلك سميت هذه المرحلة والتي تمتد من الميلاد وحتى نهاية السنة الثانية من عمر الطفل بالمرحلة الحسية الحركية. (فاروق عبد الفتاح موسى،٢٠٠١،١٢٩) (روبرت واطسون،هنري كلاي لينذ جرين،٢٠٠٤،١١١).

حيث يتفاعل الطفل مع العالم حوله ويكتسب المعرفة من خلال الأنشطة الفطرية البسيطة التي يقوم بها، والتي تصبح تدريجياً بسبب تزايدها معقدة ومترابطة.(Schaffer,2003,168)

ويعدّ مفهوم بقاء الشيء المهمة المعرفية الأساسية التي على الطفل أن ينجزها خلال هذه المرحلة بمعنى أنه يصبح قادراً على ادراك أن الأشياء يستمر وجودها حتى بعد أن تختفي عن أبصارنا.(بول مسن، جون كونجر،جيروم كاجان،١٩٩٣،١٣٥).

كما يتميز تمركز الرضيع حول ذاته خلال هذه المرحلة بالافتقار إلى التمييز بين الرضيع نفسه والعالم حوله، حيث يعدّ جسمه وأعماله مركز هذا العالم لذلك فإن الأشياء توجد لأنها نتيجة أعماله، ومع نهاية السنة الأولى يصبح واعياً لاستقلال وجوده وبقاء الأشياء.(يوسف قطامي،٢٠٠٠،١٣٤)&(هنري و.مايز،١٩٩٢،١٢٤).

ويقسم بياجيه هذه المرحلة إلى ستة أطوار نمائية:

الطور الأول:ممارسة الانعكاسات اللاارادية : ويمتد من الميلاد حتى نهاية الشهر الأول من العمر، حيث يتكيف الطفل مع بيئته في هذا الطور من خلال الانعكاسات اللاإرادية التي يمتلكها منذ لحظة ميلاده. ويستمر الطفل في التطبيق الجامد والثابت لهذه النشاطات الانعكاسية على مواقف مختلفة.(فاروق عبد الفتاح موسى،٢٠٠١،١٣٠).

وعلى الرغم من أن الوليد لا يملك إلا هذه الانعكاسات اللاإرادية إلا أنها مع ذلك تعدّ البذور الأولى والأساسية في النمو العقلي.

فطبقاً لبياجيه يعتمد النمو أولياً على النشاطات العفوية للطفل، والنتائج المدركة لتلك النشاطات (موريس شربل،١٩٨٦،١١١).

حيث يذكر بياجيه:" أن الفعل المنعكس (المص مثلاً) إذا أثير عن طريق الاتصال بالثدي فإنه يتوقف عن أداء وظيفته بمجرد أن يشعر الطفل بأن المص لا يعقبه أي نتيجة ترضيه.(جان بياجيه،١٩٥٤،٤).

الطور الثاني: التكيفات المكتسبة ورد الفعل الدائري: ويمتد من بداية الشهر الثاني إلى نهاية الشهر الرابع.

يتميز هذا الطور بميل الطفل إلى تكرار لا نهائي للأفعال البسيطة حيث يذكر بياحيه: " أن ردود الأفعال الدائرية تعدّ تدريباً وظيفياً مكتسباً، بحيث يكون امتداداً لتدريب الأفعال المنعكسة ينتهي إلى الاحتفاظ بنتيجة مهمة أو بالكشف عنها من جديد".(جان بياجيه،١٩٥٤،٧٤).

ويبدو أن هذا التكرار يلعب دوراً مهماً في النمو المعرفي . فعلى الرغم من أنه يبدو للآخرين على أنه تكرار نمطي ممل لسلوك ما إلاّ أنه يؤدي وظيفة مهمة.

فقد تؤدي هذه التكرارت إلى تحسين مهارات بسيطة لدى الطفل، حيث أظهرت الملاحظة الدقيقة أن هذه التكرارات غير متماثلة، والتحسن الذي يحدث يدل على تعلم حقيقي أو تكيف وفق مفهوم بياجيه.(فاروق عبد الفتاح موسى،٢٠٠١،١٣١).

الطور الثالث: التكيفات الحسية الحركية القصدية: و الحركات الدائرية الثانوية : ويمتد حتى نهاية الشهر الثامن.

طبقاً لبياجيه يتميز هذا الطور بظهور نماذج من السلوك تعرف بردود الفعل الدائرية الثانوية. وهذه النماذج عبارة عن سلوكيات يعمد الطفل إلى تكرارها بسبب اهتمامه بالنتائج الممتعة التي حققتها له هذه السلوكيات بمحض المصادفة.(جان بياجيه،١٩٥٤،٢٦١).

بمعنى أن سلوك الطفل يصبح سلوكاً قصدياً موجها بالتغيير المسلي الذي يحدثه بالبيئة حوله،والذي اكتشفه مصادفة دون بحث أو تجريب. وهذه النماذج السلوكية القصدية تميز هذه المرحلة وتمثل أرقى مستوى من التكيفات المميزة للذكاء التي يستطيعها الطفل خلال هذه المرحلة.(علاء الدين كفافي١٩٩٧،١٧٨)(فاروق عبد الفتاح موسى،٢٠٠١،١٣٣).

الطور الرابع : تنسيق المخططات الثانوية وتطبيقها على المواقف الجديدة: ويمتد من الشهر الثامن إلى الشهر الثاني عشر.

طبقاً لبياجيه يتميز هذا الطور بحدوث اتساق بين المخططات الثانوية يمكن الطفل من حل المشكلات البسيطة التي تعترض سبيل وصوله إلى هدفه. وربما يعدّ بحث الطفل عن الأشياء التي اختفت أحد نتائج هذه الخاصية المميزة لهذا الطور، حيث يتمكن الطفل نتيجة التنسيق والتآزر بين مخططين مختلفتين من إبعاد ما يعترضه من حواجز في سبيل الوصول إلى الشيء المختفي. (جان بياجيه،١٩٥٤،٢٢٦)

وبذلك فإن الطفل يتبع أساليب متعددة في محاولة للوصول الى الهدف الذي احتفظ به في ذهنه. وهذا يعني أن الذكاء العملي قد توافر لديه في هذا الطور بعد أن كان استعداداً.(يوسف قطامي،٢٠٠٠،١٩٠).

كما يتميز هذا الطور بتوظيف المخططات المألوفة لديه في معرفة ماهية شيء جديد. حيث يعمل على تجريب كل المخططات التي لديه بالتتابع حين يواجه شيئاً جديداً، في محاولة فهم هذا الشيء الجديد عن طريق استعمالاته.(جان بياجيه،١٩٧٨،١٥٩).

وعلى الرغم من أن هذا التجريب يتضمن نوعاً من التحوير في الوصول إلى النتائج، وليس فقط تكرارها غير أنه تجريب يتصف بالقصور فلا إبداع ولا اكتشاف لوسائل جديدة، إنما مجرد تطبيق الوسائل المعروفة على مواقف غير متوقعة.(جان بياجيه،١٩٥٤،٣٢٧)& (جان بياجيه،١٩٧٨،١٦٠)

ومن ثم فإنه يمكن وصف الطفل نتيجة هذه الخاصية على أنه مجرب بدائي غير منظم نمطي يعمل على اختبار الشيء وتجريبه من خلال مخزونه من المخططات في محاولة لاستكشافه والتعرف إليه.

الطور الخامس: التجريب الإيجابي. ويمتد من الشهر الثاني عشر إلى الشهر الثامن عشر.

طبقاً لبياجيه يقوم الطفل بالتجريب الايجابي عن طريق سلوك المحاولة والخطأ والذي يقوده بدوره الى اكتشاف وسائل جديدة. وتبدو هذه الخاصية بشكل خاص حين لا تؤدي الوسائل المعروفة لديه إلى بلوغ هدفه. (علاء الدين كفافي،١٩٩٧،١٧٩).

فطفل هذا الطور قد تطور من مجرد التطبيق السلبي للمخططات المتناسقة لديه على الشيء الجديد إلى البحث والتجريب لاكتشاف وسائل جديدة تساعده في الوصول إلى مبتغاه، وذلك حين لا تؤدي مخططاته الإيجابية إلى نتائج مرضية.كما أنه يعمد إلى تجريبات متنوعة لرؤية مختلف النتائج التي تتمخض عن هذا التجريب ما يؤدي إلى زيادة مخزونه من المخططات، مما يدعم نمو.

حيث يذكر بياجيه " أن الطفل إذا وجد نفسه عاجزاً عن تمثيل بعض الأشياء بالمخططات المتوافرة لديه فإنه يسلك سلوكاً غير متوقع، بحيث يبحث بنوع من التجريب ولا يكتف بتقبل النتائج الجديدة تقبلاً سلبياً، ويكشف عما أمكن تسميته باسم التجربة من أجل النظر، حيث لا يكرر الحركات التي أدت الى النتيجة المطلوبة بل يتدرج فيها وينوعها بطريقة تمكنه من الكشف عن التغيرات الطفيفة المتتالية التي تمر بها النتيجة نفسها".(جان بياجيه،١٩٥٤،٣٣٦).

الطور السادس: بداية التصورات الداخلية. ويمتد من الشهر الثامن عشر إلى نهاية السنة الثانية.

وطبقاً لبياجيه تتطور قدرة الطفل على حل المشكلات من خلال التنسيق العقلي بين المخططات التي تم اعدادها مسبقاً بحيث تصبح المخططات الحسية الحركية صور عقلية خاصة منفصلة للأشياء الموجودة في بيئته ينتج عنها اختراع وسائل جديدة توظف في حل هذه المشكلات.(جان بياجيه، ١٩٥٤،٤٣٥،٤٢٣).

ومن ثم فإن اكتشاف الوسائل الجديدة يختلف في هذا الطور عن الطور السابق في أنه لا يقوم على التجربة إنما من خلال تأليفات وتناسقات عقلية داخلية.

وبلوغ الطفل هذا الطور واستخدامه لهذه الخاصية الرمزية المميزة لتفكيره تجعلنا نقول إن الطفل أصبح يفكر بعقله لا بجسمه.(محمد عماد الدين اسماعيل،٢٠٠١،٣٥٥)ج١.

مما تقدم نجد أن هذه المرحلة من المراحل المهمة في النمو المعرفي، فما يملكه الوليد منذ ولادته من انعكاسات إرادية تعدّ بمنزلة قاعدة أساسية لنمو التفكير، يمر خلالها الطفل بعدد من الأطوار يؤدي خلال كل طور وظيفة معينة تبدأ من مجرد الممارسة الجامدة والمتكررة لهذه الانعكاسات الفطرية البسيطة التي لا تلبث أن تصبح أكثر تعقيداً وتناسقاً نتيجة التغيرات والتحويرات التي تطرأ عليها بسبب التجربة والخبرة التي يجنيها الطفل من تفاعله مع العالم بوسائله الأولية هذه، وصولاً إلى القصدية في السلوك، والتجريب الأولي غير المنظم إلى التجريب الإيجابي، ومن ثم اكتساب الطفل القدرة على التمثيل العقلي لأشياء خارج مجاله البصري، والذي يعدّ علامة على ظهور التفكير لدى الطفل.

ب- مرحلة ما قبل العمليات :Pre- operational

تمتد هذه المرحلة من السنة الثانية إلى السنة السابعة. وقد أطلق بياجيه على هذه المرحلة اسم ما قبل العمليات لأن تفكير الطفل خلالها لا يخضع لأي عمليات منطقية.(محمد عماد الدين اسماعيل ،٢٠٠١، ٣٥٦ ، ج١).(فيليبس،٢٠٠٠، ١٣).

فعلى الرغم من الإنجازات التي يحققها الطفل خلال هذه المرحلة إلا أن تفكيره وتفاعله مع البيئة حوله ما زال يختلف عن تفكير الراشدين وطريقة تفاعلهم مع البيئة حولهم.

وتحدث سلسلة من التغيرات ضمن المدى الزمني التقريبي لهذه المرحلة والذي قسمه بياجيه إلى مرحلتين فرعيتين هما:

- **<u>طور ما قبل المفاهيم: Pre-concept</u>**: وتمتد هذه المرحلة من السنة الثانية إلى السنة الرابعة تقريباً. وقد أطلق بياجيه على هذه المرحلة بطور ما قبل المفهوم لأن المخططات خلال هذه المرحلة تظل في منتصف الطريق بين عمومية المفهوم وفردية العناصر المكونة له. (جان بياجيه،١٩٧٨، ١٩٦).

وربما تعدّ القدرة على استخدام التمثيل الرمزي للأشياء والأحداث المهمة المعرفية الرئيسية المميزة لهذه المرحلة. بحيث تحرر هذه القدرة المعرفية الجديدة الطفل من سيطرة البيئة وتجعل سلوكه أكثر تكيفاً من السابق، كما تجعله قادراً على تقليد ومحاكاة أي سلوك آخر رآه في الماضي.(فاروق عبد الفتاح موسى،٢٠٠١، ٢٢٣، ٢٢٤).)

ويذكر بياجيه أن: ظهور اللعب الرمزي (استعمال الأشياء في أغراض تختلف عن استعمالاتها الحقيقية المصممة لها) والذي هو أنقى صور التفكير المتمركز حول الذات والتفكير الرمزي وكذلك تمثل الواقع مع اهتمامات الفرد الذاتية والتعبير عن الواقع من خلال استخدام الصور التي كونها الفرد بنفسه دليلاً على دخول الطفل في هذه المرحلة. (جان بياجيه،١٩٧٨، ١٩٥).

وإن لهذه الرمزية ومحاكاة سلوك الآخرين اللذان يميزان طفل هذه المرحلة دوراً مهماً في إثراء حصيلته المعرفية من خلال ما يمدانه من رموز جديدة للأشيـــاء.(هنري و. ماير،١٩٩٢،١٢٧).

- **طور التفكير الحدسي: Intuitive Thinking** وتمتد هذه المرحلة من السنة الرابعة وحتى السنة السابعة. ويسميها بياجيه بالتفكير الحدسي، بإعتبار أن طفل هذه المرحلة يخمن الحل بناءً على ما تظهره له حواسه"(محمد عماد الدين اسماعيل،٢٠٠١،٣٧٠، ج١).

حيث يذكر بياجيه: أن الحدس يظل ظاهرياً لأنه ينقل صور الواقع دون محاولة تصحيحها، وأنه ذاتي المركز يخضع للعلاقات المباشرة بين الظاهرة ووجهة نظر الشخص ويفتقر إلى التوازن بين تمثيل الأشياء للصور الاجمالية العامة للتفكير، وملاءمة هذه الصور بالحقيقة الواقعية.(جان بياجيه،١٩٧٨،٢١٤).

وعلى الرغم من أن إجابات طفل هذه المرحلة حول بعض المشكلات تكون صحيحة أحياناً لكنه مع ذلك غير قادر على إعطاء تفسيرات منطقية لاجاباته، وذلك لأنها تعتمد على ما يحسه ويراه أنه الصحيح.(يوسف قطامي،٢٠٠٠،٢٢٢).

فطفل هذه المرحلة لديه القدرة على الاعتقاد ببعض الموضوعات على أنها صحيحة غير أنه لا يعرف لماذا هو يعتقد بصحتها.

ويبدو أن هناك تداخلاً بين هاتين المرحلتين الفرعيتين، فبعض المظاهر التي تميز إحدى المراحل الفرعية تتطور في المرحلة الأخرى وربما يتراجع بعضها وتظهر تغيرات أخرى. وتبقى الخاصية الرئيسية التي تجمعهما كمرحلة عامة هي الافتقار للعمليات المنطقية.

وسوف تذكر الباحثة فيما يلي بعض المظاهر التي تميز التفكير اللامنطقي لطفل مرحلة ماقبل العمليات والتي تبدو في :

- **التمركز حول الذات: Egocentrism**

ويشير إلى عدم قدرة الطفل على تبني وجهة نظر الآخرين ، أو على تمييز منظوره الخاص عن منظور الآخرين. فهؤلاء الأطفال يعتقدون أن كل شخص يرى ما يرونه ويسمع ما يسمعونه ويعرف ما يعرفونه.(Kuther,March 1: 2001)

فمعرفته بالعالم حوله محدودة بما يراه، وبما اختبره فقط، وليس هناك حاجة لنقل أفكاره ومشاعره، لأنه على يقين بأن الآخرين يفهمونه ويفكرون كما يفكر هو.(هنري و. ماير،١٩٩٢،١٢٦).

وكثيراً ما نشاهد في حياتنا اليومية سلوكيات متكررة لأطفال هذه المرحلة يمكن تفسيرها على أنها سلوكيات تحدث بسبب خاصية التمركز حول الذات التي تميز جميع أطفال هذه المرحلة.

فكم مرة حدث أن غضب الأب أو الأم أو الإخوة الأكبر من الطفل الذي عمره ٣ سنوات ونعت على انه لا ينفذ الأوامر المعطاة له لذلك يستحق العقاب، وذلك فقط لأنه يظل واقفاً أمام شاشة التلفزيون وفي المكان نفسه رغم الطلب المتكرر منه بأن يبتعد جانباً ليستطيعوا متابعة برنامج ما.

ويسلك الطفل على هذا النحو فقط لأن التمركز حول الذات والذي يبدو في الافتقار للتمييز بين رؤيته ومنظوره وبين رؤية ومنظور الآخرين مسيطر على اعتقاده، فهو لأنه يرى ما يظهر على شاشة التلفزيون يعتقد بأن إخوته والآخرين يرون مثله. ومن ثم لا حاجة لابتعاده.

ومن الجدير بالذكر أن التمركز حول الذات يقل تدريجياً خلال مرحلة التفكير الحدسي بسبب ما تتميز به هذه المرحلة من زيادة الاهتمام الاجتماعي للطفل بالعالم حوله وزيادة الاحتكاك بالآخرين.(هنري و.ماير،١٩٩٢،١٣٢).

- الإحيائية: Animism

وتشير إلى ميل الطفل إلى إسقاط الصفات البشرية على الأشياء غير البشرية.(فاروق عبد الفتاح موسى،٢٠٠١،٢٢٥)

فالطفل في هذه المرحلة لا يمتلك القدرة على التمييز بين الأشياء الجامدة والأشياء الحية، ومن ثم فإن كل ما هو موجود في البيئة حوله له مشاعر وعواطف وسلوك قصدي. فمثلا: عندما يرتطم طفل هذه المرحلة بأحد الجدران بشكل غير مقصود فإنه يقوم بضرب الجدار كما لو أن هذا الجدار قصد أن يؤذيه.(Kuther,March 1: 2001)

وطبقاً لبياجيه يتم التخلص من الاحيائية تدريجياً من خلال أربع مراحل هي:

١- يعدّ الأطفال بين عمري الخامسة والسادسة أن كل شيء حي ما عدا ماهو تالف ومحطم.

٢- يقتصر الأطفال في عمري السادسة والسابعة على اعتبار كل ما يتحرك حياً.

٣- يقتصر الأطفال بعمر الثامنة والعاشرة على اعتبار كل ما يتحرك من تلقاء نفسه حياً.

٤- يعدّ الأطفال من عمر إحدى عشرة سنة فما فوق أن الحياة تشمل الحيوان والنبات أو الحيوان فقط. (روبرت واطسون، هنري كلاي ليند جرين،٢٠٠٤،٣٣١).

- الإفتقار لمهارة الاحتفاظ: Lack Of Conservation Skills

تتطلب مهارة الاحتفاظ من الطفل الإدراك بأن الكمية الفيزيائية لا تتغير بتغير المظاهر(الأشكال والأحجام). إلا أن طفل هذه المرحلة لا يزال عاجزاً عن إدراك هذا المفهوم.(Kuther,March 1: 2001)

ويعلل بياجيه افتقار طفل هذه المرحلة لمهارة الاحتفاظ لكونه ما زال يركز انتباهه وتفكيره على مظهر واحد للمشكلة ، ويغفل المظاهر الأخرى. فالأبنية المعرفية التي تمكنه أن

يأخذ بالحسبان ذهنياً جميع العلاقات المتضمنة في الموقف لم تنمو لديه بعد. فبناؤه المعرفي قائم على أساس المظهر السطحي . وتفكيره يعتمد بشكل أكبر على حواسه وتخيله أكثر من أي شيء آخر.(محمد عماد الدين اسماعيل،٢٠٠١،٣٦٢،٣٦٧،٣٧٠، ج١).

- **الافتقار للمعكوسية: Lack Of Reversibility**

تشير المعكوسية الى أن كل عملية يمكن عكسها ، أو إرجاعها لأصلها دون حدوث أي تغيير. إلا أن طفل هذه المرحلة يسير في تفكيره إلى الأمام ولا يوجد عكس. (سيد الطواب،١٩٩٥،١٩٦).

فهو لا يمتلك قدرة العودة إلى بداية العملية الذهنية التي بدأ منها دون حدوث أي تغيير.(يوسف قطامي،٢٠٠٠،٢٢٣).

وذلك لأنه كما ذكر سابقاً بسبب سيطرة المظهر الخارجي للأشياء على تفكيره.

- الاستدلال التحولي: Transductive Reasoning

يتميز استدلال طفل هذه المرحلة بالاستدلال التحولي.فاستدلاله يختلف عن استدلال الراشدين، بمعنى أنه يستطيع الانتقال فقط من الخاص إلى الخاص. وتعوزه القدرة على الانتقال من العام إلى الخاص أو من الخاص إلى العام ومن ثم لا يستطيع الاستقراء أو الاستنتاج. ذلك أن القدرة على القيام بتلك العمليتين يتطلب عمليات عقلية أرقى لايمكنه القيام بها في هذه المرحلة .(عادل عبد الله محمد،١٩٩١،٧٣).(يوسف قطامي،٢٠٠٠،٢٢١).

وقد يؤدي الاستدلال التحولي إلى نتائج صحيحة أحياناً إلا أنه في معظم الأحوال يؤدي إلى الوقوع في الخطأ. (فؤاد أبو حطب و آمال صادق،١٩٩٠،٣٠١،٣٠٢).

فالطفل يربط بين الأحداث التي تحدث معاً، بمعنى أن العلاقة السببية تظهر في هذه المرحلة غير أنها تفتقر للمنطقية وترتبط بما هو محسوس، وغالباً ما يعكس الطفل السبب والنتيجة، فأحياناً يعدّ الحدث الأول سبباً، والثاني الذي يعقبه النتيجة، وأحياناً يفعل العكس، وغالباً ما نرى ذلك في حديثه حين ينقل لنا حادثة، فمثلاً قد يذكر الطفل العبارة التالية : "الرجل سقط من دراجته لأنه كسر رجله". ومع ذلك فإن هذه المرحلة من التفكير على الرغم مما تتصف به من قصور إلا أنها طبقاً لبياجيه خطو ضرورية لبلوغ مستوى التفكير العملياتـــــي..(Schaffer,2003,177)

فتفكير طفل هذه المرحلة تفكير يفتقر للعمليات ويقتصر على المستوى الرمزي. يتصف بالجمود وعدم المرونة واللامنطقية، ويتجلى ذلك في عدم القدرة على العودة بالتفكير إلى نقطة البداية وكذلك الافتقار للقدرة على الاحتفاظ. إضافة إلى نوع الاستدلال الذي يقوم به الطفل وأحكامه غير المنطقية التي تعتمد على الحدس.

كما يتصف تفكيره بالمحدودية التي تتجلى في تمركزه حول ذاته، وبإسقاط ذاته على الأشياء في العالم حوله.

ومع ذلك فإن هذا التفكير والخبرات التي يكتسبها الطفل من خلاله طريقته في التفاعل مع العالم حوله يلعب دوراً مهماً في مساعدة الطفل على الانتقال إلى مراحل أكثر منطقية. بحيث يتجه هذا التفكير تدريجياً من المحدودية إلى الانفتاح في التفكير، والذي يتضح في اكتساب العمليات.

ج- مرحلة العمليات المحسوسة (العياتية) : Concrete Operational

وتمتد هذه المرحلة من السنة السابعة ، و حتى السنة الثانية عشرة. يصبح خلالها تفكير الطفل عند مستوى العمليات وهو مستوى من التفكير يختلف نوعاً عن التفكير الرمزي الذي يميز المرحلة السابقة.حيث يتم ادماج واستيعاب الأفعال والأنشطة الأولية للطفل في صورة مخططات عقلية جديدة تسمى بالعمليات.(فؤاد أبو حطب وآمال صادق،١٩٩٤،٢٠٢).(فاروق عبد الفتاح موسى،٢٠٠١،٣٠٦).

وطبقاً لبياجيه تعدّ هذه العمليات مسؤولة عن القدرة على التفكير المنطقي بما هو محسوس أو في الأشياء التي تقع في خبرة الطفل المباشرة في حياته اليومية على اعتبارها تنشأ تدريجيا من خلال الأنشطة الأولية للطفل في المرحتين السابقتين. (محمد عماد الدين اسماعيل،٢٠٠١،٣٣،ج٢) (فؤاد أبو حطب وآمال صادق،١٩٩٤،٢٠٢).

وبناء على ذلك يمكنهم معالجة الأشياء منطقياً، بينما تعوزهم القدرة على معالجة المشكلات اللفظية والمفاهيم المجردة بشكل منطقي. ولعل هذا ما جعل بياجيه يسمي هذه المرحلة بمرحلة العمليات المحسوسة، حيث إن الطفل يحتاج إلى معالجة وتجريب الأشياء الواقعية لكي يستطيع حل المشكلات بطريقة منطقية.(ليندال دافيدوف،٢٠٠٠،١٠١) (Birch,1997,73).&

ولعل المثال التالي يوضح ماذكر:

إن طفل مرحلة العمليات المحسوسة غير قادر على حل المشكلة التالية حين تعرض عليه لفظياً : إذا كان جون أطول من سوزان، وجون أقصر من ماري، فأيهم الأقصر؟ على حين لو أعطي ثلاثة دمى تمثل الأشخاص الثلاثة فإنه سيحل المشكلة ولن يجد صعوبة في ذلك. .(Birch,1997,73)

ويرى بياجيه أن الوصول إلى حالة من التوازن المرن والذي يتمثل ببلوغ العمليات المحسوسة ماهو إلا نتيجة حدوث عدد من التغيرات معاً، وهذه التغيرات هي:

١- فعلان متتابعان يمكن أن ينتظما في فعل واحد.

٢- عندما تصبح الصور الإجمالية للفعل والتي كانت تعمل من قبل في التفكير الحدسي قابلة للانعكاس.

٣- من الممكن الوصول إلى النقطة نفسها بطريقتين مختلفتين دون حدوث أي تغيير فيها.

٤- إن العودة إلى نقطة البداية يجعلنا نجدها كما هي دون تغيير.

٥- عند إعادة الفعل نفسه فإما أنه لا يضيف شيئاً إلى نفسه وإما أن يصبح فعلاً جديداً مع ظهور أثر تراكمي.(جان بياجيه،١٩٧٨،٢١٩).

بمعنى أن التغيرات المذكورة أعلاه تفسر حدوث العمليات العقلية المميزة لهذه المرحلة والتي تتلخص بما يلي:

- الاحتفاظ: Conservation

تتطور لدى الطفل في هذه المرحلة القدرة على إدراك أن الخصائص الفيزيائية للأشياء لا تتغير على الرغم من التغير الذي يطرأ على شكلها .(فاروق عبد الفتاح موسى،٢٠٠١،٣٠٨).

وطبقاً لبياجيه فإن هذه القدرة تتطور تدريجياً، فابتداء من عمر ٧-٨ سنوات يدرك الطفل ثبات الكم ، وفي عمر ٩-١٠ سنوات يدرك ثبات الوزن، أما ثبات الحجم فلا يتم إدركه حتى عمر ١١-١٢ سنة.(جان بياجيه،١٩٧٨،٢٢٧،٢٢٨).

- المعكوسية: Reversibility

طبقاً لبياجيه يصبح الطفل خلال هذه المرحلة قادراً على القيام عقلياً بقلب خطوات تسلسل تفكيره من الحالة التي وصل اليها إلى الحالة التي انطلق منها.(فاروق عبد الفتاح موسى،٢٠٠١،٣٠٩) &(فؤاد أبو حطب وآمال صادق،١٩٩٠،٣٢٨).

وتتضمن قواعد الرياضيات عمليات معكوسة، حيث يكون بإمكان طفل هذه المرحلة إدراك أن الجمع عملية يمكن عكسها بالطرح، وعملية القسمة يمكن عكسها بعملية الضرب..(Birch,1997,67)

- التسلسل: Seriation

التسلسل هو تنظيم الأشياء المتشابهة في وضع معين تبعاً لتدرجها من الأكبر إلى الأصغر ، أو من الأصغر إلى الأكبر، أو من أي بعد آخر. (محمد عماد الدين اسماعيل،٢٠٠١،٣٨، ج٢).

وتعدّ هذه العملية من العمليات المعرفية الأساسية من عمليات التفكير المنطقي، وتتطلب القدرة على القيام بها توفر الأبنية المعرفية الضرورية كالمعكوسية والقدرة على إقامة العلاقات الثنائية. (يوسف قطامي،٢٠٠٠،١١٣).

وطبقاً لبياجيه فإن القدرة على القيام بهذه العملية المعرفية يتطور تدريجياً، وليس قبل عمر السابعة يكون بإمكان الطفل أن يأخذ باعتباره أكثر من متغير وأن يقيم علاقات بينهم، الأمر الذي يجعله يؤدي مهمة التسلسل بنجاح اعتماداً على الطريقة المنهجية في البحث عن الأصغر ثم الأصغر المتبقي. (محمد عماد الدين اسماعيل،٢٠٠١،٣٩، ج٢).

- **التصنيف:Classification**

هو وضع الأشياء معاً في مجموعة واحدة وذلك وفقاً لسمة أو خاصية مشتركة تجمعها معاً. وتتطلب هذه العملية أن يكون الطفل على وعي وإدراك لأوجه التماثل والاختلاف بين تلك الأشياء.وتتطور القدرة على القيام بالتصنيف تدريجياً ولا تكتمل حتى بلوغ السابعة أو الثامنة من العمر حين تتوافر عمليات عقلية أخرى بحيث تمكن الطفل من القدرة على عمل تصنيفات أصيلة حقيقية. وتعدّ هذه القدرة متطلباً سابقاً من متطلبات القدرة على التفكير المجرد. (يوسف قطامي،٢٠٠٠،١١٤،١١٥).

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأخطاء أو اللامنطقية التي تميز مرحلة ما قبل العمليات كالتمركز حول الذات يتراجع بحيث يظهر الأطفال قدرة أكبر على اعتبار وجهة نظر الآخرين، ويكونون أكثر قدرة على الوعي بحاجات المستمعين الآخرين وميولهم.(يوسف قطامي،٢٠٠٠،١٣٧).

وقد اختبر بياجيه تراجع التمركز حول الذات في تفكير طفل مرحلة العمليات المحسوسة حين قارن بين أدائهم وأداء أطفال مرحلة ما قبل العمليات حيث عرض عليهم مهمة الجبال الثلاثة، وهي عبارة عن نموذج هندسي لثلاثة جبال مختلفة الأحجام وضعت على المنضدة، يجلس الطفل أمام أحد جوانب المنضدة ، بينما تجلس دمية كبيرة أمام الجانب الآخر ويطلب من الطفل ان يصف المنظر كما يراه من مكانه، ثم يطلب منه وصف المنظر كما تراه الدمية. وقد وجد اختلاف في إجابة طفل مرحلة ما قبل العمليات الذي يكرر الوصف نفسه كما يراه، عن إجابات طفل مرحلة العمليات المحسوسة الذي يصف المنظر من منظوره ثم يصف المنظر من منظور الدمية.(فاروق عبد الفتاح موسى،٢٠٠١،٢٩١).

وطبقاً لبياجيه فإن الأطفال خلال نموهم يمرون بمراحل منتظمة ومتعاقبة من التطور المعرفي، بدءاً من الولادة وحتى المراهقة . ويتم النمو من مخططات بسيطة فطرية، تصبح أكثر تعقيداً مع النضج الجسدي الذي يتيح الفرصة للتفاعل النشط مع البيئة و اختبارها. وبذلك تتكون الأفكار والمفاهيم حتى يتم الوصول إلى نمو متوازن وشامل. وفي المراحل الأولى يكون تفاعل الطفل محكوم بالأحداث الظاهرة وبما يتمثله بحواسه بشكل مباشر.

وفي المرحلة التالية يصل تفكيره لحالة من التأمل والتخيل . حيث يستطيع استخدام اللغة والرمز لمعرفة العالم الخارجي والمحيط بشكل مباشر،إلا أنه لا يزال يفتقر إلى القدرة على القيام بعمل منطقي.

أما في مرحلة العمليات، فتكون قد توافرت لديه ذخيرة من المفاهيم المنتظمة والمنسقة والمتماسكة. ويصبح قادراً على المعالجة المنطقية لما هو محسوس بمعنى أنها تقتصر فقط على ما يمكن أن يختبره مباشرة،أما معالجة المفاهيم والأفكار المجردة فما زالت تعوزه.ما يجعلنا نستطيع القول إن التفكير المنطقي لديه مازال في المستوى البدائي.

د- مرحلة استدلال العمليات الشكلية : Formal Operational Reasoning

تعدّ مرحلة استدلال العمليات الشكلية المرحلة الأخيرة من مراحل النمو المعرفي وتبدأ طبقاً لبياجيه في حوالي العمر ١١،١٢ سنة وتصل الى حالة من التوازن المؤقت في حوالي العمر ١٤-١٥ سنة. (Oleron, Piaget,Inhelder,Greco ,1969,190)

ويعدّ العمر ١١- ١٢ سنة العمر التقريبي للدخول بمرحلة المراهقة، ومن ثم يمكن أن يطلق على هذه المرحلة على المستوى المعرفي مرحلة العمليات الشكلية. فالتغيرات الشاملة التي تحدث للفرد مع بلوغ هذه المرحلة، تتضمن تغيرات في القدرات المعرفية تؤهل الفرد ليصبح تفكيره كتفكير الراشدين.

فتبدو لديه القدرة على التفكير المجرد واستخدام المفاهيم المجردة والتفكير بالمستقبل من خلال قدرته الجديدة على التفكير بما هو ممكن ومحتمل بدلاً من مجرد التفكير بالحاضر وبما هو واقع وحقيقة ملموسة.(ليندا ل.دافيدوف ،٢٠٠٠،١٠٢،١٠٣) &(Harris,1986,608)

ويتميز التفكير العملياتي الشكلي بعدد من الخصائص أهمها:

١- العلاقة بين الواقع والممكن:

يتغير تفكير طفل العمليات الشكلية بالعالم حوله حيث يحدث عكس في اتجاه التفكير بين الواقع والممكن. فبدلاً من استنتاج نموذج نظري بدائي من معطيات واقعية وملموسة كما في المرحلة المحسوسة، يبدأ المفكر الشكلي بتأليف نظري متضمن بعض العلاقات ذات الأهمية ومنها يستمر نحو الاتجاه المعاكس ليثبت العلاقات الفعلية بين الأشياء. حيث يذكر بياجيه: " يبدو الممكن ليس فقط كامتداد للمواقف أو الأفعال المنفذة بالفعل ، إنما يصبح الواقع الآن ثانوياً بالنسبة للممكن." (Piaget,Inhelder,1958,251)

بمعنى أن تفكير طفل مرحلة العمليات الشكلية بالواقع والممكن يختلف عن تفكير طفل مرحلة العمليات المحسوسة. فبينما يبدأ طفل المرحلة المحسوسة بالتفكير بالواقع والمعطيات الواقعية، ومن ثم يتجه نحو الممكن فينشأ من خلال ذلك نموذج فرضي بدائي، فإن طفل

العمليات الشكلية يأخذ باعتباره أولاً كل ما هو ممكن ومحتمل في موقف ما لتحديد أي هذه الاحتمالات ضروري وذي أهمية في الموقف الواقعي الذي هو بصدده.

ويعدّ هذا التغير في وجهة النظر خطوة ضرورية وذات أهمية من حيث تأثيرها على النمو المعرفي ، فبالنسبة لعالم القيم يمكن أن يبقى مقيداً بالواقع المحسوس والممكن إدراكه بالنسبة لطفل المرحلة المحسوسة على حين يمكن أن يشمل كثيراً من الاحتمالات الاجتماعية والشخصية بالنسبة لطفل المرحلة الشكلية.(Piaget,Inhelder,1969,149).

وطبقاً لبياجيه يعدّ عكس اتجاه العلاقة بين الواقع والممكن، أو انطلاق التفكير من ما هو محتمل الى ما هو واقع الخاصية الرئيسية المميزة للتفكير العملياتي الشكلي. (Piaget,Inhelder,1958,251,255).

ومن الجدير بالذكر أن الخصائص الأخرى التي تميز التفكير العملياتي الشكلي ترتبط بهذه الخاصية وربما تنشأ عنها.

٢- تفكير فرضي استنباطي Hypothetico -Deductive

يتميز التفكير العملياتي الشكلي على أنه تفكير فرضي استنباطي، فطبقاً لبياجيه ينشغل المراهق بنوع من القضايا التي ربما تعكس أو لا تعكس الواقع ، حيث تتحول الطريقة التي يدرك بها العالم ويفضل الانشغال بما هو ممكن ومحتمل وربما مستحيل بدلاً من التركيزعلى ما هو واقع.(Kirby,No Date,Internet)

وإن تحديد الواقع داخل نطاق أو حدود الممكن هي في الأساس إستراتيجية افتراضية في طبيعتها . فالطفل في هذه المرحلة يتحرك بحرية كبيرة داخل مجال الافتراضات أو الأشياء الافتراضية ، فحين يواجه بمشكلة ما يضعَ سلسلة من الافتراضات أو الفروض ويقوم باستنباط أو استنتاج ما يترتب على كل حالة بذاتها وبعد التجريب ، أو التأمل يختار الفروض التي تتفق مع ما يتوافر لديه من أدلة.(مجدي عبد الكريم حبيب،١٩٩٦،٨١،٨٢).

ويتجه تفكيره إلى ما وراء ما يمكن ملاحظته مباشرة ضمن سياق الممكنات، بدلاً من التقيد بالحقائق الملاحظة والواقع الظاهري للموقف الذي يوجد فيه. (فؤاد أبو حطب وآمال صادق ،١٩٩٠،٣٧٠)& (Steinberg,1993,60)

بحيث يصبح تفكيره على النحو التالي: إذا كان أحد جوانب الواقع أو الحقيقة صحيحاً فإن بعض النواتج يمكن أن تستنتج ثم يمكن أن تختبر . و في إحدى التجارب التي أجراها بياجيه على أحد الأطفال من عمر (١٣) عاماً والتي استخدم فيها أسلوب الاستجواب يقول: " وتفصح لغة المفحوص بوضوح عن استخدام المنهج الفرضي الاستنباطي في التعامل مع البيانات ".مثل استخدام العبارات الشرطية (إذا ---- إذن)"(فؤاد أبو حطب وآمال صادق،١٩٩٠،٣٧١،٣٧٣).

إن الاستدلال الفرضي الاستنباطي هو نوع من الاستدلال يظهر للمرة الأولى عند الأفراد خلال مرحلة العمليات الشكلية، يتضمن تكوين فكرة عامة واستنتاج فرضيات محددة منها، فأطفال هذه المرحلة يفكرون بشكل استنتاجي ليكونوا فرضيات يمكنهم اختبارها من خلال تفحص الدليل الموجود أو إحراز دليل جديد.(Baron,1992,300)

ويدرك طفل مرحلة العمليات الشكلية أن هناك العديد من الطرق المنطقية المحتملة التي ربما تجمع معاً في موقف أو مشكلة يواجهها، فتفكيره هذا حول الطرق المحتملة يمكنه من أن يختبر هذه الاحتمالات (الفرضيات) كجزء من حل المشكلة ، وهذا ما يجعله قادراً على الوصول بسرعة إلى إستراتيجية فعالة لحل المشكلات التي يواجهها. وعلى الرغم من أنه يمكن لطفل مرحلة العمليات المحسوسة أن يكون فرضيات ويبدأ باختبارها بطريقة عشوائية إلا أنه يختلف عن تفكير طفل مرحلة العمليات الشكلية بأن تفكيره محدود بشكل كبير بما يمكن أن يختبره مباشرة، وبأن منحى تفكيره أكثر تصلباً ، حيث يتمسك بفرضية واحدة أو فرضيتين بدلاً من التفكير الأكثر شمولية حول الحلول المحتملة التي ربما تكون مـــوجـــــودة. (Sprinthall, Collins ,1995,99,100)

وإن لهذه الخاصية ميزاتها الايجابية التي تتضح في مستويات عديدة من سلوك الفـــرد:

فعلى المستوى الاجتماعي: تساعد المراهق على الأخذ بالحسبان وجهة نظر الآخرين من خلال تمكنه من التفكير حول ما يفكر به الآخرون أو يشعرونه، ومن ثم القدرة على إقناعهم، والوصول لحلول لبعض نماذج من المشكلات بشكل جيد.(Steinberg,1993,61) & (Steinberg,2002,Internet)

وأحد الأمثلة الواضحة عن الاستدلال الفرضي الاستنباطي في المجال الاجتماعي، ما يتعلق بالتعامل مع الوالدين: فطفل مرحلة العمليات الشكلية يحاول أن يقرر كيف يمكنه إقناع والديه بأن يسمحوا له باستعارة السيارة الخاصة بهما فيأخذ بالحسبان عوامل مثل: (مزاج والديه،الوقت المناسب ليطلب طلباً كهذا، كفاءة العرض كتبادل العمل أو الغاز). ومن المحتمل أن يختبر كل هذه العوامل بشكل منظم ليرى أيها أكثر فعالية. (Harris,1986,611,612).

وعلى المستوى الشخصي : تلعب هذه الخاصية دوراً مهماً في مهارات اتخاذ القرارات من خلال ما تسمح به للفرد من قدرة على التخطيط للمستقبل والتنبؤ بالنتائج المستقبلية لأحد البدائـــــل قبـــل أن تحـــــدث. إضافة إلى مساهمتها في تشكيل وجهة نظر الفرد نفسه من خلال قدرته على الخوض في مناقشات مع الآخرين حيث يتمكن الفرد من إعادة النظر بمعتقداته من خلال إرجاء هذه المعتقدات والتفكير ومناقشة كل ما هو ممكن

ومحتمل، كما تسمح له بفهم منطق ما وراء مناقشة الآخرين، ما ينعكس في شخصيته وفي علاقاته الاجتماعية. (Steinberg,1993,61) & (Steinberg,2002,Internet)

وبسبب قدرتهم الجديدة على توليد فرضيات دون اختبارها بشكل مباشر واعتبار ما هو محتمل أكثر أهمية مما هو حقيقي، يمكنهم التبصر في العديد من القضايا اليومية من دون اختبار الأشياء التي يفكرون بها مباشرة..(Bjorklund,1989,32).

أما على المستوى العلمي: فتعدّ هذه القدرة طبقاً لبياجيه أساس إمكانية قيام العلم والتجريب، كما تساعد الفرد على فهم القوانين الفيزيائية (كالعوامل المؤثرة على تأرجح البنادول مثلاً) من خلال ما تتيحه له من قدرة على إعطاء بدائل في تفسير الأحداث (Harris,1986,611,612).

فطفل العمليات المحسوسة يمكنه المعالجة العقلية للأشياء والأحداث، على حين في المرحلة الشكلية فيمكنه معالجة الأفكار حول المواقف الافتراضية،ويشرح المثال التالي الفرق في تفكير الطفل في المرحلتين حين يعرض عليهما الموقف التالي:

اذا كانت أقدام كل طيور السنونو صفراء

وهذا المخلوق سنونو

هل لهذا المخلوق أقدام صفراء.

ففي مثل هذا الموقف يمكن لطفل المرحلة الشكلية استخلاص النتيجة منطقياً، بينما الطفل في عمر سبع سنوات لديه صعوبة في الاستدلال حول الأحداث البعيدة الاحتمال والمستحيلة، ومن المحتمل أن يقول أنا لم أر أبدا سنونو ، أو يقول أنه لا يوجد أشياء لها أرجـــل صفراء. (Newcomb,Mussen,Conger,Kagan,Huston, ,1996)

٣- تفكير يقوم على المنطق الترابطي أو الاقتراني .Combinatorial Logic

يمكن تعريف هذه الخاصية على أنها القدرة على تشكيل عدة احتمالات مختلفة في محاولة لايجاد حل للمشكلة. (Nielsen,1996,79)

فمثلا: اذا قمنا أمام أطفال هذه المرحلة بتسخين مادتين أ و ب في أنبوب اختبار. وكان نتيجة ذلك ، انطلاق غاز وليكن ج. فان الأطفال سيكونون قادرين على توليد فرضيات ، يمكنها أن تأخذ بالحسبان و بشكل نظامي احتمال وقوع أحداث متنوعة تقوم على هذه الملاحظة:

- إن أ وب معاً تنتجان ج.
- إن أ وحدها تنتج ج.
- إن ب وحدها تنتج ج.
- لا أ ولا ب تنتجان ج. (Broun&Desforges, 1979,38))

فما يقوم به الفرد حين يواجه بمشكلة جديدة هو أنه يأخذ باعتباره كل الاحتمالات والترابطات الممكنة لحل المشكلة ومن ثم يختبر بطريقة منهجية منظمة منطق وتأثير كل حل احتمالي على حدة. ما يضمن له تحديد واختبار كل ما هو ممكن دون إغفال لأي حل احتمالي.(Newcomb,Mussen,Conger,Kagan,Huston,438,1996) & (مجدي عبد الكريم حبيب ،١٩٩٦، ٨٢).

فمثلاً حين نريد الوصول إلى شاطئ البحر فإن المراهق يعمل على تحديد ومراجعة كل الطرق الممكنة، ومن ثم يقيم بشكل نظامي أي هذه الطرق هو الأكثر أمناً والأقصر، والأسرع .(Newcomb,Mussen,Conger,Kagan,Huston,438,1996)

ومن ثم فإن تفكير وقدرة طفل العمليات المحسوسة يختلف عن تفكير وقدرة طفل العمليات الشكلية على حل مشكلة تتطلب هذا النوع من التفكير الترابطي، فمثلاً حين يعطى بعض الأطفال قطعاً نقدية ٢،٣،٤،٥،- - مختلفة الألوان ويطلب من كل طفل أن يضم كل اثنين مع بعض بجميع الطرق المحتملة، فإن طفل المرحلة المحسوسة سوف يؤدي بعضاً من الترابطات القليلة وباتباع أسلوب المحاولة والخطأ، بينما الطفل في عمر ١٢ سنة فإنه يقوم بعمل كل الترابطات المحتملة وباتباع طريقة منظمة وشاملة . (Oleron, Piaget, Inhelder, Greco,1969,.190,191).

فالفرد ببلوغ هذه القدرة يتحرر من الجوانب المحسوسة لأي موضوع ويعمل على التحليل العقلي للموقف، أو الموضوع ومن ثم تشكيل كل ما هو ممكن من علاقات وترابطات بطريقة منظمة.

ويعدّ بلوغ هذه القدرة تقدماً مهماً في التطور المعرفي، ذلك لأن الطريقة العلمية والاستدلال العلمي يعتمد على القدرة على معالجة المتغيرات التابعة والمستقلة، واحداً تلو الآخر. واكتشاف كل الترابطات والتسلسلات المحتملة (Dworetzky, & Davis,1989,318).

كما تعدّ هذه القدرة على الاستدلال الترابطي أداة منطقية مهمة في التعامل مع القضايا الحياتية بحيث تمكن الفرد من القدرة على حل المشكلات اليومية بشكل أكثر فاعلية من خلال ما تتيحه له من قدرة على تحديد وتقييم كل البدائل بشكل نظامي. &(Harris,1986,611) (Newcomb,Mussen,Conger,Kagan,Huston,438,1996)

وطبقاً لبياجيه فإن لهذه القدرة الترابطية أهمية رئيسية في اتساع وتعزيز قوى التفكير. فعندما تتوطد هذه القدرة لدى الفرد فإنه يستطيع التفكير حول واقع ما، من خلال كل الترابطات الممكنة ما يعزز بدوره القدرة على التفكير الاستدلالي. (Piaget,Inhelder,1969,133).

وتعدّ القدرة على حل مشكلة الكيمياء دليلاً على وجود هذا النوع من التفكير. (Dworetzky & Davis,1989,318).

٤-تفكير يقوم على منطق القضايا. Proposition Logic

طبقاً لبياجيه يتميز استدلال طفل هذه المرحلة لكونه لا يقوم على البيانات أو المواد الخام الخاصة بالواقع، كما هو الحال بالنسبة لطفل مرحلة العمليات المحسوسة. إنما يقوم على افتراضات، أوعبارات، أو قضايا تحتوي على تلك البيانات وتتضمنها.(مجدي عبد الكريم حبيب،١٩٩،٨٢). فإذا كان طفل مرحلة العمليات المحسوسة يعتمد على المعرفة بالأشياء والأحداث من حيث هي كذلك ، فإن طفل هذه المرحلة يقوم أيضا بهذه العمليات. ويضيف إليها بعداً آخر يجعل تفكيره شكلياً أو صورياً ، أكثر منه محسوساً. فيأخذ نتائج هذه العمليات المحسوسة ويضعها في صورة قضايا، ثم يقوم بعمليات من الروابط المنطقية (الإضافة ، الاشتمال، الفصل، الجمع ---)" (سيد الطواب،١٩٩٥،٢٠٤).

حيث يذكر بياجيه أن دور الطفل في المرحلة العملياتية الشكلية ليس فقط التعامل مع البيانات الموجود مسبقاً وتفسيرها في كلمات وقضايا عملياتية محسوسة مثلما يفعل الطفل في المرحلة المحسوسة، إنما يقوم بسلسلة جديدة من العمليات الاحتمالية تنشأ خلال المراحل المبكرة من التفكير الشكلي وتتضمن كل من عمليات الاستبعاد Exclusions، الاشتمال Implications ، الفصل Disjunctions (Piaget, Inhelder,1958,253)

فالطفل في المرحلة الشكلية حين يواجه مشكلات ما لا يقيد نفسه بالمعطيات الواقعية لهذه المشكلات إنما يقوم بعمل كل الافتراضات المحتملة ويجرب أساليبه الخاصة لحلها.

وطبقاً لبياجيه يعدّ استخدام منطق القضايا العلامة المميزة لبلوغ العمليات الشكلية فمن خلال هذه الخاصية يصبح بإمكان المراهق حل المشكلة التالية:

إذا كان أ أكبر من ب

ب أكبر من س

فإن: أ لا بد أن يكون أكبر من س. (Steinberg,2002,Internet)

لأنه يمتلك الآن القدرة على أن يأخذ باعتباره عدة أفكار ومفاهيم ، ليستنتج منطقياً العلاقات بين الأشياء ، كما يمكنه إقامة العلاقات بين العلاقات كعلاقة النسبة ، وبهذا يصل لإدراك جديد للقضايا، والناس، والعلاقات الاجتماعية والأشياء التي تدور في حياته.(ليلى كرم الدين،١٩٨٨،٤١) .(Drape ,Ganong, Goodell,1987,329)

كما تمكنهم هذه الخاصية من التعامل مع الأحداث الافتراضية كما لو كانت واقعية، ومن التعامل مع المفاهيم المجردة والأشياء المحسوسة بفعالية. إضافة إلى تمكنهم من تخيل المواقف الافتراضية والبدائل بطريقة نظامية وكذلك حل المشكلات العلمية.

(Steinberg,1993,67)

٥-تفكير يقوم على عزل وضبط المتغيرات:.Isolated and Control Variables

طبقاً لبياجيه يتميز التفكير العملياتي الشكلي بالقدرة على عزل المتغيرات واستبعاد المتغيرات غير المرتبطة بالمشكلة مع إبقاء جميع العناصر الأخرى ثابتة.(Piaget, Inhelder,1958,46).

بمعنى أن أسلوب طفل المرحلة المحسوسة يختلف عن الأسلوب الذي يتبعه طفل المرحلة الشكلية حين يواجه مشكلة، فطفل المرحلة الشكلية يكون باستطاعته أن يدرس تأثير كل متغير من متغيرات المشكلة على حدة مع ضبط كل المتغيرات الأخرى بحيث يمكنه إرجاع أي تغيير يحدث إلى تأثير المتغير المدروس.

وتعدّ هذه الخاصية عملية ضرورية للقيام بالتجريب العلمي المضبوط، فمن خلالها يتمكن الفرد من دراسة أثر المتغيرات المستقلة على المتغيرات التابعة وذلك من خلال تحديد وعزل وضبط المتغيرات ومعالجة أحدها لمعرفة تأثيره وفعاليته الأمر الذي يؤدي بدوره إلى الحصول على نتائج الاختبارات التجريبية بشكل منطقي وصحيح ودقيق.(مجدي عبد الكريم حبيب،١٩٩٦، ٨٣) & .(Rotter,1999,Internet)

كما تعدّ هذه الخاصية مهمة جداً بالنسبة لمهارات التفكير التي تتطلبها الفيزياء، لتطور بدورها تفكير الطالب. إضافة لكونها عملية ضرورية في فهم علاقات الزمن والسرعة.(Rotter,1999,Internet)

وهناك عدد من التجارب التي بين من خلالها بياجيه وانهيلدر الفرق بين طفل المرحلة المحسوسة والشكلية من حيث القدرة على استخدام هذه الخاصية، من بينها تجربة التواء القضبان، والتي يعرض فيها على المفحوصين مجموعة من القضبان مختلفة في تركيبتها الصناعية فمنها نحاسي ومنها فولاذي وغير ذلك، كما أنها مختلفة في الطول والثخانة وفي الشكل فمنها مربع ومنها مستدير وغير ذلك، إضافة إلى حوض ماء كبير وثلاثة من الأوزان المختلفة التي يمكن أن تسبب التواء في نهايات القضبان إذا ما علقت بها، مع العلم بأن القضبان يمكن أن تعلق على طرف الحوض بشكل أفقي. ويطلب من المفحوص تحديد أي قضيب من القضبان المعروضة يمكن أن يكون مرناً بما يكفي ليلامس سطح الماء إذا ما علق عليها أحد هذه الأوزان. .(Piaget, Inhelder,1958,46,47)

وسوف يختلف أداء طفل العمليات المحسوسة عن أداء طفل الشكلية الذي ربما يعمل على تحديد المتغيرات أولاً بحيث يدرك أن هناك متغيرات مثل الطوال،المعدن، الثخانة وغير ذلك، ومن ثم يختار بعض القضبان المتماثلة في كل الخصائص(ضبط المتغيرات) ما عدا خاصية واحدة كالطول مثلاً ليلاحظ ما يحدث بدقة، وهكذا يتقدم في سير التجريب،متناولاً

متغيراً تلو الآخر، على عكس طفل المحسوسة الذي ربما يقارن بين أحد المتغيرات بشكل فوضوي، أي من دون ضبط المتغيرات الأخرى فقد يأخذ باعتباره متغير الطول دون الانتباه الى ضبط وتثبيت المتغيرات الأخرى.

وكذلك تعدّ تجربة البنادول التي قدمها بياجيه وانهيلدر تجربة مهمة لدراسة هذه الخاصية حيث تتطلب هذه التجربة عزل وضبط المتغيرات فيما عدا المتغير المستقل ويلاحظ خلالها الاختلاف في أداء طفل مرحلة العمليات المحسوسة عن أداء طفل العمليات الشكلية فبينما طفل المحسوسة لا يمكنه التوصل للعامل الوحيد الذي يؤثر على تأرجح البنادول وذلك لأنه يغير في الوقت نفسه أكثر من عامل، فإن طفل مرحلة العمليات الشكلية يمكنه التوصل لحل المشكلة بناء على ظهور هذه الخاصية التي تجعله يقوم بتثبيت جميع هذه المتغيرات مع تغيير واحد منها في وقت واحد. (ليلى كرم الدين،١٩٨٨، ٤٢).

٦- تفكير تأملي : Reflective Reasoning

يمتلك بعض أطفال مرحلة العمليات الشكلية القدرة على التفكير بالتفكير، فهم يتميزون بالقدرة على التفكير بالعمليات العقلية التي يجرونها ما يتيح لهم تحليل الأفكار وإستراتيجيات الاستدلال ليقرروا فيما إذا كانت ملائمة لمواقف وحالات معينة. فمثلاً يكون بإمكانهم : وزن الحجج المؤيدة والمعارضة للطرق المحتملة لمشكلة معقدة، كمناقشتهم لمزايا، و مساوئ القوى النووية. (Harris,1986,612)

هذه القدرة على تفحص الشخص لمحتويات تفكيره بنفسه هي من خصائص مرحلة العمليات الشكلية . وعلى الرغم من أن طفل مرحلة العمليات المحسوسة يمتلك بعض مهارات حل المشكلة لكنه طبقا لبياجيه ليس قادراً على تأمل محتوى تفكيره ليصل لتبصر جديد . فأطفال المرحلة المحسوسة يكتسبون المعرفة من العالم الخارجي لكن لا يمكنهم أن يتعلموا أي شئ جديد بتأمل ما عرفوه مسبقاً، على عكس طفل العمليات الشكلية الذي بإمكانه اكتساب المعلومات الجديدة كنتيجة لهذا التأمل الداخلي. ويستخدم بياجيه تعبير تأمل التجريد (reflective abstraction) ليشير إلى إعادة تنظيم التفكير. حيث يمكن لهؤلاء الأطفال أن يأخذوا المعرفة التي امتلكوها مسبقاً ومن دون المعلومات الإضافية من البيئة الخارجية ، ومن ثم يتأملون هذه المعرفة ويصلون للمجهول (الحقيقة). وهذا التأمل التجريدي يتيح لهم بمزيد من اليسر والسهولة تطبيق المعلومات التي يعرفونها ، على حالات و مواقف جديدة أو يتيح لهم اكتشاف طرق معرفية بديلة للمشكلات القديمة.(Bjorklund,1989,34)

وإضافة لتفكيرهم بأفكارهم الخاصة فإن هذه الخاصية تمكنهم أيضاً من تأمل مشاعرهم الخاصة بحيث يزداد الاستبطان لديهم، كما تمكنهم من التفكير بأفكار الأشخاص الآخرين وهو ما يعرف بازدياد وعي الذات.(Steinberg,2002,Internet)

وأن لهذه القدرة على التفكير بالتفكير بالتفكير عموماً بعض المزايا تتضح في امتلاك قدرة أكبر على الفهم والتعلم وكذلك القدرة على تفسير أفكاره للآخرين، وشرح ما يتطلبه حل مشكلة ما خطوة خطوة. (Steinberg,2002,Internet)& (Sprinthall:1995,99,100&Collins).

وهذا ما يميز طفل المرحلة الشكلية عن طفل المرحلة المحسوسة الذي وعلى الرغم من تمكنه من حل المشكلات نفسها غير أنه أقل احتمالاً من أن يكون لديه القدرة على التحدث حول كيف فعل ذلك أو ماذا سيحتاج شخص آخر لإنجاز المهمة نفسها (Sprinthall:1995,99,100&Collins).

ومع ذلك فإن هذه الخاصية تسبب بعض الصعوبات فبسبب عدم النضج الكافي لهذه القدرات، وعدم التمكن الكامل من المهارات العملياتية الشكلية يقع المراهق فريسة للتمركز حول الذات، فينشغل بذاته وتظهر لديه نزعتا الجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية وفق ما افترضهما ديفيد الكيند.(Steinberg,2002,Internet)

٧- يتكون جوهر التفكير الشكلي من تركيب متكامل من المجموعة ، وشبكة العلاقات لا مجرد تركيب يتصف ببعض خصائص كل من التركيبين السابقين ، وإنما الخصائص الكاملة للمجموعة ولشبكة العلاقات تتكامل في نظام كلي واحد. (ليلى كرم الدين،١٩٨٨، ٤٢).

وبذلك فإن جميع سمات التفكير الشكلي تجعل منه أداة جيدة للاستدلال العلمي ، فقد افترض بياجيه أن أطفال المرحلة الشكلية يفكرون كالعلماء ذلك أنهم يصلون إلى حل المشكلة بطريقة الاكتشاف العلمي من خلال استخدام المنطق ، وتأمل جميع الاحتمالات ، والفروض، و استنباط ما يمكن أن يحدث باختبار بعض هذه الفروض ، وكذلك التقييم الحذر لكل المتغيرات ، ووزن الدليل عند اتخاذ قرار.(فؤاد أبو حطب، آمال صادق،١٩٩٠،٣٧٤).

٨- تفكير احتمالي: Probability Reasoning

يتميز التفكير الشكلي بالقدرة على تشكيل أحكام احتمالية واعتقادات شخصية حول المولقف والموضوعات المختلفة بشكل أكثر دقة وشمولية وموضوعية.(بول مسنجون كونجر،جيروم كاجان،١٩٩٣،٤٥٩)

فعلى الرغم من أن أطفال المرحلة المحسوسة يمكنهم أن يتخيلوا إلا أن المراهقين يمكنهم معالجة أفكارهم بطريقة تسمح لهم بخلق الاحتمالات ومقارنة التخيلات المحتملة مع المستقبل المحتمل. (Steinberg,2002,Internet)

وطبقاً لبياجيه وانهيلدر فإن التفكير الاحتمالي يتطور عبر ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى حتى عمر (٧) سنوات :

وتقابل هذه المرحلة مرحلة ما قبل العمليات، وتتميز بإخفاق الطفل في التمييز بين الأحداث التي لها حتمية الحدوث بحكم القوانين الطبيعية والأحداث الممكن حدوثها بحكم الصدفة، وذلك بسبب مفهومهم الضعيف عن العشوائيات randomness

المرحلة الثّانية حتى حدود عمر (١٤) سنة:

وتقابل هذه المرحلة بشكل تقريبي مرحلة العمليات المحسوسة، وتتميز بقدرة الطفل على التمييز بين الضروري من الأحداث(التي لها حتمية الحدوث) بحكم القوانين الطبيعية والمحتمل من الأحداث التي ربما تحدث بحكم المصادفة. غير أن قدرتهم هذه غير ناضجة بما يكفي حيث ما زال يعوزهم القدرة على تكوين قائمة منظمة لكل النتائج الممكنة لحدث.إضافة إلى أنهم غير قادرين على صياغة نموذج احتمالي للتجربة وكذلك غير قادرين على التعبير عن النتيجة بشكل نسبة.

المرحلة الثالثة فوق عمر (١٤) سنة:

وتقابل هذه المرحلة مرحلة العمليات الشكلية، خلالها يكون الأطفال قد طوروا مهارات الاستدلال الترابطي combinatorial لتحليل الوضع الاحتمالي ووضع جميع الاحتمالات الممكنة في نسق معين، وكذلك يكونون قادرين على تسجيل النتائج المحتملة بصورة نسب. (Drier. 2000 . Internet).

ونلاحظ أن هذه المراحل التطورية للاستدلال الاحتمالي تقابل المراحل الثلاث الأخيرة من التطور المعرفي عند بياجيه (ما قبل العمليات ، العيانية ، الشكلية).

٩- تفكير تناسبي: Proportional Reasoning

ويتميز الاستدلال التناسبي بكونه شكل من الاستدلال الرياضي يتضمن إقامة علاقة بين علاقتين ، بدلاً من علاقة بين شيئين محسوسين (Lesh,Post,Behr, 1988. Internet).

ومن ثم فإن إقامة علاقة بين علاقات لا يمكن أن تنجز في المستوى المحسوس لأن ذلك يتطلب عمليات من الدرجة الثانية، تميز التفكير من المستوى الشكلي.

حيث يرى بياجيه أنه على الرغم من أن التناسب الرياضي يتضمن التساوي بين نسبتين إلا أنه يشكل مشكلة بالنسبة لأفراد المرحلة المحسوسة، لأن المخططات العملياتية للتناسب المنطقي تنشأ من تكامل شبكة العلاقات والمجموعة في نظام كلي (كما هو موضح في

الخاصية المذكورة أعلاه). وهذا لا يحدث قبل بلوغ المرحلة الشكلية. (Piaget, Inhelder,1958,314,315)

وطبقاً للتجارب التي قام بها كل من بياجيه وانهيلدر والتي تمثلت في تجربة توازن الميزان Equilibrium In The Balance ، وسحب الوزن على مستوى مائل Hauling Weight On An Inclined Plance وعرض الظلال The Projection Of Shadows فإن الاستدلال التناسبي يتطور خلال المراحل التالية :

- المرحلة الحدسية (٣-٧) : Intuitive Stage

وخلالها يكون الطفل عاجزاً عن أن يساوي في الرتبة بين متغيرين ، ويعتمد على الاعتبارات الحدسية .

- المرحلة المحسوسة (٨-١٢) : Concrete Stage

وخلالها يظهر الطفل القدرة على أن يساوي في الرتبة بين متغيرين ، ولكن في حالات محسوسة . ويوضح علاقتهم النسبية، لكن من دون تعميم ذلك في قاعدة رياضية.

- المرحلة الشكلية: (١٢-١٥) : Formal Stage

خلال هذه المرحلة يصل المخطط النسبي للنضج ، ويفهم الطفل القواعد التي تشكل أساس العلاقات النسبية". (Keret, 1999. Internet))

ويعدّ الاستدلال النسبي حجر الزاوية في الجبر والمستويات العليا في الرياضيات، كما يساعد على حل المشكلات المتضمنة العلاقات النسبية في مجالات المعرفة المتنوعة.(الرياضيات ، الفيزياء ، الكيمياء ، الاقتصاد ، الاحصائيات ، الاحتمال). (Keret,1999. Internet).

لذلك فإن قدرة الطلاب على القيام بمهمات الاستدلال التناسبي ، حاسمة في تقييم قدرتهم على العمل وفهم الطبيعة الكمية للفيزياء . أما الطلاب الذين لا يمكنهم التفكير بشكل نسبي ، فإنهم يواجهون صعوبات بفهم و استخدام العلاقات الوظيفية . كتفسير المعادلات والموضوعات ، كالسرعة والكثافة..(Rotter,1999,Internet)

كما أن المعرفة الموضوعية للنسب تفتح الطريق أمام فهم النسبية في المواقف العادية.(هنري و. ماير،١٩٩٢،١٥٦).

إذن فمرحلة العمليات الشكلية هي المرحلة الأخيرة من النمو المعرفي طبقاً لبياجيه، ومع وصول الطفل إلى هذه المرحلة، يتطور تفكيره تدريجياً حتى يصبح كتفكير الراشد.

ويتميز تفكيره خلال هذه المرحلة بعدد من الخصائص التي تميزه عن المراحل السابقة.

ومن خلال هذه الخصائص يتمكن من التفكير بشكل مجرد ومنطقي بعيداً عن المحسوسات، فيكون افتراضات ويختبرها ويعالج المظاهر المختلفة للمشكلات التي يواجهها ويكتشف التناقضات، ويفكر بالاحتمالات وإلى ما هو أبعد من الواقع كما ينشغل بالتفكير نفسه فيتأمل أفكاره ومشاعره، ما يجعله يفهم نفسه بشكل أفضل ويكسبه تبصراً جديداً للمشكلات التي تواجهه.

١- عوامل الارتقاء المعرفي:

يرى بياجيه أن هناك عدة عوامل للارتقاء المعرفي وهي:

- النضج البيولوجي:

ويشير النضج البيولوجي إلى عمليات النمو الطبيعي التلقائي التي يشترك فيها الأفراد جميعاً، والتي تحدث من دون تدريب أو خبرة. ويعدّ هذا العامل من العوامل المهمة في عملية النمو المعرفي. (عادل عبد الله محمد ، ،١٩٩١،٥٥).

ووفقاً لقوانين النمو كلما ازداد نضج الطفل اتسعت مظاهر وأبعاد النمو لديه ومن ثم ازدادت الأبنية المعرفية وأصبح التناسق فيما بينها أكبر.(يوسف قطامي،٢٠٠٠،٨٦،٨٧).

- الخبرة المادية:

نتيجة تفاعل الطفل مع الأشياء الموجودة في البيئة حوله يكتسب الخبرات الحسية التي تعمل على زيادة كفاءته الذهنية، بحيث يتمكن من تمثيل هذه الخبرات الحسية واستيعابها فيستخدمها ويستدعيها كلما شاء. وكلما ازدادت الأشياء حوله وازداد تفاعله معها ومن ثم ازدادت خبرته بها ازدادت لديه عمليات الفهم وتطورت. (يوسف قطامي،٢٠٠٠،٨٦،٨٧).

فمعرفة الواقع الخارجي للأشياء (لون قلم مثلا) وكذلك معرفتنا(أن القلم يسقط على الأرض إذا قذفناه في الجو) . هذا كله خبرة مادية أو ما يسمى بالمعرفة الطبيعية. (أحمد بدر،١٩٩٠،٤١٣).

وعلى الرغم من أن الخبرة المادية تتميز عن الخبرة الرياضية المنطقية إلا أنها تتضمن دائماً تمثلا للأبنية الرياضية المنطقية. فمثلاً : المقارنة بين وزنين تتطلب وجود علاقة بينهما. وبهذا يتكون شكل منطقي لهذه العلاقة . (عادل عبد الله محمد،١٩٩١،٥٥).

- الخبرة الرياضية المنطقية:

وهي نوع من المعرفة يتطلب التآزر والتنسيق الذهني للأنشطة الحسية.(يوسف قطامي،٢٠٠٠،١٠٩،١١٠).

فمحاولات الطفل معرفة أداء الأشياء أو تصنيفها وعدها وترتيبها يمكنه من إيجاد علاقات مشتركة بينها، فتتكون لديه بنية عقلية يستطيع أن يستفيد منها في حالات ،ومواقف

مشابهة لما مر في خبرته من قبل. وهذه البنية التي تكونت تكون نتيجة للخبرة المنطقية الرياضية. (عادل عبد الله محمد ،١٩٩١، ٥٦).

فمثلا يمكننا ملاحظة قلمين لكل منهما لون مختلف، إلا أننا لا نستطيع ملاحظة الاختلاف بينهما . حيث إن الاختلاف غير موجود في أي منهما ، وإنما هو عبارة عن علاقة نكونها نحن الذين وضعنا القلمين في هذه العلاقة. و هذه الخبرة المنطقية تختلف عن الخبرة المادية من حيث مصدرها . ذلك أن مصدر الخبرة الطبيعية خارجي ، أما الخبرة الرياضية المنطقية فمصدرها داخلي في الفرد نفسه ، فهي تعتمد على منطق الفرد و استدلاله أي على اتساق النظام الفكري الداخلي الذي بناه الطفل.و على الرغم من اختلاف الخبرة المادية عن الخبرة الرياضية المنطقية من حيث طبيعتهما، وأسلوب تشكلهما (الأولى مصدر خارجي وتعتمد على التجريد البسيط ، الثانية مصدرها داخل الفرد وتعتمد على التجريد التأملي) فإنه لا تحدث واحدة دون الأخرى في الواقع النفسي للطفل. (أحمد بدر، ١٩٩٠، ٣١٣، ٣١٤).

- التفاعل الاجتماعي:

يؤكد بياجيه على التفاعل الاجتماعي مع الاخرين كعامل مهم بل ضروري لبناء البنى العقلية وتعديلها والتي تساهم بدورها في تحقيق مستوى من التكيف للتوافق مع متطلبات البيئة والذي يعمل كقوة دافعة للارتقاء المعرفي إلى الأمام.(يوسف قطامي، ٢٠٠٠، ٩٠) & (عادل عبد الله محمد ،١٩٩١، ٥٦).

- التوازن:

من المفاهيم المهمة التي افترضها بياجيه والتي اعتبرها العامل المنسق بين العوامل المذكور سابقاً، والمسؤولة بدورها عن الانتقال من مرحلة معرفية دنيا إلى مرحلة معرفية أعلى، وذلك من خلال ما تتيحه للأطفال من فرص للنمو والتطور حين يكون التوازن قلقاً. (Slavin,1997,33,34).

بمعنى أن الطفل يكون في حالة من التوازن قبل اكتساب معرفة جديدة، غير أنه عندما يواجه معلومات وأشياء جديدة تتنافر مع مالديه من مخططات فإن حالة التوازن لديه تضطرب،ما يشعره بالتوتر والاستياء، الأمر الذي يدفعه بدوره للعمل على التخلص من هذه الحالة، والعودة إلى حالة التوازن بتعديل مخططاته أو تطوير مخططات جديدة من خلال عمليتي التمثل والمواءمة للتكيف مع هذه المتطلبات الجديدة.(Birch,1997,68) & (Slavin,1997,33,33).

مما سبق نجد أن التوازن عملية ديناميكية مستمرة تدفع بالفرد بالحركة الدائمة والبحث المستمر ليبقي بنياته المعرفية بعيدة عن حالة التنافر، والاضطراب، أي عن حالة عدم التوازن.

ويحدث عدم التوازن عادة حين يواجه الفرد معلومات ومعطيات جديدة لا تنسجم مع ما لديه، الأمر الذي يدفع به لتحقيق مستويات جديدة من التوازن في بنائه المعرفي من خلال عمليتي التمثل والمواءمة مشكلاً بذلك حالة من المعرفة أكثر ارتقاء من الحالة السابقة.

وبذلك تكون الباحثة قد انتهت من عرض نظرية بياجيه بمفاهيمها،وأهميتها ومراحلها،وعواملها، وتوسعت في تناولها لهذه النظرية حول المرحلة الشكلية منها، على اعتبارها المرحلة التي ترتبط بمتغيرات البحث (التمركز حول الذات والهوية).

ونظراً إلى أن التمركز حول الذات: ذلك المفهوم الذي افترضه بياجيه في كتاباته، وعمل الكيند على تطويره فيما يخص مرحلة المراهقة، وتفسيره في ضوء نظرية بياجيه وبشكل خاص في ضوء مرحلة التفكير الشكلي،ومع الإشارة إلى أن الدراسات حول هذين المتغيرين لم تحسم شكل واتجاه العلاقة بعد، ولم تستطع التحقق بشكل دقيق من صحة تصور الكيند وتفسيره لعودة ظهور التمركز حول الذات مع الانتقال إلى مرحلة التفكير الشكلي، كما ذكر سابقاً في تحديد مشكلة الدراسة، كان لابد من عرض مفهوم نظرية الكيند حول التمركز حول الذات.

وحيث أن هذا المتغير(التمركز حول الذات) قد ارتبط بتشكيل الهوية طبقاً لتصورات بعض المنظرين،وفي ضوء تناقض نتائج الدراسات حول شكل واتجاه العلاقة بين هذين المتغيرين،كما تبين سابقاً في تحديد مشكلة الدراسة، كان لابد من أن تضيف الباحثة في عرضها التالي لنظرية الكيند حول التمركز حول الذات أحد هذه النظريات والتصورات التي ربطت بين التمركز حول الذات والهوية.

لذلك سيعرض فيما يلي نظرية الكيند التي استندت في تفسيرها لتمركز المراهق حول ذاته إلى النمو المعرفي، وكذلك نظرية لابسلي التي ربطت مفهومها للتمركز حول الذات بالهوية،وبعض أوجه الشبه والاتفاق بين النظريتين، إضافة إلى نظرية فرويد على اعتبار أن أفكار نظرية لابسلي تستند إلى أفكار نظرية فرويد، ومن ثم يتم التطرق إلى ذكر بعض النقاط الأساسية التي تلتقي فيها النظريتين.

ثانياً- التمركز حول الذات

تمهيد:

سوف يعرض فيما يلي نظرية دافيد الكيند David Elkind(1978,1974,1967) فيما يخص التمركز حول الذات الخاص بمرحلة المراهقة، والتفسير المعرفي لهـذا المفهـوم الذي ينشأ بسبب الانتقال إلى مرحلة العمليات الشكلية.ومن ثم يتم الحديث عن البناءين العقليين الذين يتضمنهما التمركز حول الذات والمعروفين طبقاً لالكيند بالجمهور المتخيل، والتلفيقـات الشخصية، والنتائج الإيجابية والسلبية لكلا البناءين.ومن ثم كيفية تلاشي أو اضمحلال هـذين البناءين عند الأفراد.

ثم يتم تناول العلاقة بين التمركز حول الذات والنمو المعرفي والعمر وذلك من خلال ذكر نتائج بعض الدراسات مما توافر للباحثة فيما يخص التحقق من تفسير الكيند للتمركز حول الذات.وكذلك العلاقة بين التمركز حول الذات والجنس.

ومن الجدير بالذكر أن هذين البناءين مازالا محور الاهتمام من قبل الكثير من الباحثين باعتبارهما المسؤولين عن تنوع واسع من سلوكيات المراهقين والمراهقات.

ولا بد من الاشارة هنا إلى أن نظرية الكيند تعرف بنظرية النظـــــرة القديمـــــــة Old Look حيث ظهرت تصورات بديلة فيما يخص تفسير هذا المفهوم الذي يتمثل في هذين البناءين المذكورين. الأمر الذي جعل مفهوم التمركز حول الذات مجالاً غنياً لدراسات وأبحاث عديدة استهوت الكثير من الباحثين والمنظرين. فعلى حين يرى الكيند التمركز حول الذات كمنتج سلبي للنمو المعرفي، فإن تفسيرات بديلة ظهرت وحاولت تفسير هذه النزعة سواء فيما يتعلق بالجمهور المتخيل أو التلفيقات الشخصية، من بينها ما عرف بنظرية النظرة الحديثة New Look التي ارتبطت بلابسلي Lapsley وسوف يتم تناولها، ولكن بعد عرض نظرية فرويد وذلك لاستناد نظرية لابسلي إلى مفاهيم فرويدية، ومن ثم تعرض الباحثة بعض النقاط الأساسية التي تلتقي فيها هاتان النظريتان، وأخيراً يختم هذا القسم بعرض لبعض أوجه الشبه والاتفاق بين نظرية النظرة القديمة ونظرية النظرة الحديثة ، مع العلم أن الباحثة تتبنى التفسير المعرفي لالكيند حول التمركز حول الذات.

ومن الجدير بالذكر أن اتجاها آخر ارتبط بأوكونور يرى أن التمركز حول الذات ينشأ كنتيجة البحث عن الإحساس بالهوية، وسوف تتناوله الباحثة في القسم الثالث أثناء الحديث عن العلاقة بين التمركز حول الذات والهوية.

١ –نظرية دافيد الكيند David Elkind حول التمركز حول الذات خلال مرحلة المراهقة:

طور الكيند نظريته عن التمركز حول الذات مستنداً الى التغيرات النمائية التي تحدث للفرد على المستوى المعرفي وفق منظور بياجيه .(Elkind,1967,1974,1978)

ويرى الكيند أن التمركز حول الذات الذي يميز مرحلة المراهقة ما هو إلا نتيجة لتطور مجموعة جديدة من القدرات العقلية التي يسميها بياجيه بالعمليات الشكلية. (Elkind,1978,117).

وتبدأ تلك العمليات بالظهور في حوالي العمر ١١،١٢ سنة، بحيث يصبح الطفل قادراً على التفكير المجرد وبالتفكير بالاحتمالات والتفكير بالتفكير نفسه أو ما يسمى بالتفكير التأملي. (Elkind,1978,119)&.(Harris,1986,612)

وبسبب هذه القدرات الجديدة وما يتضمنه التفكير التأملي من عمليات تلعب دوراً مهماً في النمو النفسي للمراهقين (كالاستبطان Introspection والعقلانية Intellectualization ووعي الذات Self-Consciousness) يصبح المراهقون أكثر استبطاناً فيفكرون بمشاعرهم الخاصة ويقضون وقتاً كبيراً في تأمل أنفسهم ومشاعرهم حول ما يحبونه وما يكرهونه ويشعرون به. كما يصبحون أكثر عقلانية وتقودهم قدرتهم الجديدة على التفكير بما هو مجرد أكثر مما هو محسوس إلى التفكير بالمجردات فيتأملون أفكارهم الخاصة وتخيلاتهم وأنشطتهم العقلية وكذلك التفكير بأفكار الأشخاص الآخرين ونشاطاتهم العقلية .إضافة إلى أن وعي الذات لديهم يصبح أكثر وضوحاً الأمر الذي يجعلهم ينشغلون ويهتمون بكيف يفكر بهم الآخرون وكيف يرونهم.&(Elkind,1978,119-120) &(Sprinthall, Collins,1995,99,100) (Steinberg,1993,62).

ويرى الكيند أن افتقار المراهقين للخبرة وللنضج الكامل في أشكال التفكير هذه إضافة إلى انشغالاتهم العقلية بأنفسهم يؤدي بهم إلى الوقوع في شرك شكل أعلى من أشكال التمركز حول الذات.(Elkind,1974,91) & (Elkind,1967,1029)

بمعنى أن القصور في التفكير عند مستوى العمليات من الدرجة الثانية يقود إلى تمركز حول الذات يميز مرحلة المراهقة. ومجرد الانتقال إلى مرحلة العمليات الشكلية والذي من المفترض أنه يحدث في حوالي العمر ١١- ١٢ سنة لا يعني تمكن المراهق من هذه العمليات الشكلية.

فاكتساب القدرة على التفكير الشكلي يتم تدريجياً، ويبدأ في حوالي العمر ١١-١٢ سنة، ومن ثم يتطور وتنضج هذه البنيات العقلية بشكل تدريجي حتى تصل لمرحلة التوازن

فيتمكن منها المراهق في حوالي العمر ١٥ سنة تقريباً.(فتحي مصطفى الزيات،١٩٩٥،١٩٢) (Draper &Ganong &Goodell,1987,329)&

وطبقاً لالكيند فإن هناك تمركزاً حول الذات يميز المراهق قبل تمكنه من العمليات الشكلية، ويبدو هذا التمركز من خلال "الإخفاق في التمييز بين الأشياء التي يوجه الآخرون تفكيرهم نحوها مباشرة وتلك التي تكون بؤرة اهتمامه الخاص".(Elkind,1967,1029)

بمعنى أن المراهقين يميلون إلى الاعتقاد بأن الأفكار والأشياء وموضوعات التفكير التي تسيطر على تفكيرهم هي نفس الأفكار والأشياء وموضوعات التفكير نفسها التي تسيطر على تفكير الآخرين.

وعلى اعتبار أن المراهقة مرحلة تغيرات نمائية شاملة على المستوى النفسي والمعرفي والاجتماعي والانفعالي والبيولوجي فإن هذا الشكل من التمركز يرتبط بالانشغال بالذات والاهتمام بها فيما يتعلق بصورة الجسد والمظهر والملبس والسلوك،وينعكس الإخفاق في التمييز بين ما يشغل المراهق وما يشغل الآخرين في ميل المراهق للاعتقاد بأن الآخرين منشغلون ومهتمون بسلوكه ومظهره بنفس درجة انشغاله واهتمامه بسلوكه ومظهره. ويشكل هذا الاعتقاد أساس التمركز حول الذات.(Elkind,1974,91)&(علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٤٥١).

كما ويفترض الكيند (١٩٦٧) أن التمركز حول الذات يتمثل في نزعتين أو بناءين هما الجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية.

- الجمهور المتخيل: Imaginary Audience

مفهوم افترضه الكيند يتمثل في أن المراهق أثناء مواجهته للآخرين في أي موقف اجتماعي واقعي أو في أي موقف اجتماعي لاحق قد يواجه فيه آخرين، يفكر ويتوقع ردود فعلهم نحوه استناداً الى اعتقاده بأنه بؤرة تفكير وانتباه الآخرين الذين هم إما ناقدين له أو معجبين به، مثلما هو ناقد لنفسه ومعجب بها في الوقت نفسه.(Elkind,1967,1030)

ويتخيل المراهق نفسه وكأنه على خشبة مسرح يمثل ويتصرف أمام جمهور وهمي يراقبه في كل شيء في مظهره وحديثه وسلوكه،ويقيمه، الأمر الذي يجعله يراجع نفسه في أي تصرف قبل أن يقدم عليه وكذلك يفكر في المظهر الذي سيواجه الآخرون به آخذاً في اعتباره رأيهم من خلال تخيله لهذا الجمهور الوهمي الذي ربما يتبادل معه الحديث ويسمع منه التعليقات حول ما هو مناسب أو غير مناسب .(الكيند وايرفينغ،١٩٩٦،٢٨٨) &(محمد عماد الدين اسماعيل،٢٠٠١،٢٤٤)ج٢.

ويعدّ ارتفاع الوعي بالذات أحد نتائج بناء الجمهور المتخيل. فاعتقاد المراهق أنه مركز اهتمام الآخرين يؤدي به إلى الاهتمام بفكرة الاخرين عنه فيما يتعلق بمظهره وسلوكه وشخصيته، (Elkind,Bowen,1979)

وبناء على ذلك يشعر المراهق بوجود الجمهور المتخيل بشكل واضح في المواقف التي تستدعي بعض التهديد الاجتماعي.ومن بين هذه المواقف أن يطلب منه التحدث أمام زملائه في الصف.(علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٤٥٢).

ويتضح شعوره بوجود الجمهور المتخيل في تلك المواقف لأنه مهتم بآراء الآخرين حوله و بشكل خاص حول ما يشغل باله هو، وغالباً ما يرتبط ذلك بمظهره وجاذبيته أو بوجود شيء ما يقلقه سواء في ملبسه(وجود بقعة على قميصه)أو في تكوينه ومظهره الجسدي(تشويه أو نحالة في الوجه، حب الشباب،وغير ذلك) مما يراه محرجاً ولا يمكن احتماله.&(محمد عماد الدين اسماعيل،٢٠٠١،٢٤٤)ج٢ (Elkind,Bowen,1979)

لذلك فإن الجمهور المتخيل يعكس الإخفاق في التمييز بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، فعلى الرغم من قدرة المراهق الصغير على التفكير بأفكار الآخرين، إلا أنه غير قادر على التمييز بين اهتماماته الشخصية واهتمامات الآخرين، أو بين المحتوى الذاتي لأفكاره الخاصة والمحتوى الموضوعي لأفكار الآخرين.(Elkind,1978,122,123)

فالجمهور المتخيل بناء من صنع خيال المراهق، ليس له وجود حقيقي في الواقع، انما فقط في خيال المراهق. ويستجيب المراهق لهذا الجمهور باستمرار، وتنعكس استجابته لهذا الجمهور المتخيل في سلوكيات غالباً ما يستنكرها الراشدون كالمبالغة في المظهر والسلوك بهدف لفت الانتباه إليه.

وربما يكون مفهوم المراهق عن ذاته المحدد الأساسي فيما سيكون عليه رأي الجمهور المتخيل سواء أكان معجب به أم ناقد له. الأمر الذي قد يؤثر بدوره على سلوكه وعلاقاته الاجتماعية والعاطفية. (Elkind,1967,1030) & (محمد عماد الدين اسماعيل،٢٠٠١،٢٤٤)ج٢

اي أن هناك علاقة بين مفهوم المراهق عن ذاته وتصوره للجمهور المتخيل، فإذا كان مفهوم المراهق عن ذاته ايجابياً فإن تصوره للجمهور المتخيل وللتعليقات التي ستصدر عنه ستكون معبرة عن إدراكه لهذا الجمهور كجمهور معجب به، بينما في حال كان مفهوم المراهق عن ذاته سلبياً فإن تصوره للجمهور المتخيل وللتعليقات التي ستصدر عنه ستكون معبرة عن إدراكه لهذا الجمهور كجمهور ناقد له.

وينتج عن بناء الجمهور المتخيل ما هو سلبي وما هو إيجابي:

فمن ناحية قد يشكل بناء الجمهور المتخيل دافعاً لبعض السلوكيات الايجابية في هذا العمر والتي تنعكس بدورها على تقبل المراهق لذاته ومن ثم زيادة درجة توافقه.

حيث يحتاج الأفراد الصغار إلى إقرار ودعم من الآخرين نظراً لأنهـــــــم لا يستطيعون الاعتماد على المنجزات السابقة في استحسان الذات وتأييدها. فالصغير النحيف الذي يدرك ويلاحظ النمو في بناء جسده والذي جعله يبدو في صورة مختلفة عن صورة الجسد الهزيلة السابقة سيتوقع في الغالب ردود فعل إيجابية من قبل هذا الجمهور للبناء الجسدي الجديد الذي اكتسبه .(Elkind,1978,123)

وسوف ينعكس ذلك في تقبله لذاته وتقبل صورة جسمه ما يجعله أكثر تكيفاً وتوافقـــاً.

كما أن كثيراً من الأطفال الصغار في هذا العمر يخرجون للرياضة وينشغلون بالموسيقا ويكون الدافع لذلك توقع ردود فعل إيجابية من قبل الجمهور المتخيل لهذه الأنشطة التي يقومون بها. (Elkind,1978,124)

ولا يخفى أن لهذه الأنشطة أهميتها في إبراز المواهب، وفي معالجة الكثير من المشكلات المرتبطة بالتغيرات المفاجئة في مرحلة المراهقة.

ومن ناحية أخرى قد يشكل بناء الجمهور المتخيل دافعاً لبعض السلوكيات السلبية في هذا العمر ومن تلك السلوكيات:

أ- **العدوان على الآخر**: والذي يمكن أن يتمثل في عدد من السلوكيات المختلفة منها:

- التخريب المتعمد للممتلكات العامة أو الخاصة: حيث يكون الجمهور المتخيل الدافع لهذا السلوك. فالمخربون هم صغار غاضبون وغضبهم يهدأ عندما يتخيلون غضب الراشدين الذين سيرون الأعطال والتخريبات في الصباح، باعتبار أن هذا التصرف يؤثر في نفس الراشد ويزعجه وتستوقفه مثل تلك الحماقات. .(Elkind,1978,124)

وتلك السلوكيات كثيراً ما نشاهدها ونسأل أنفسنا لماذا هذا التخريب ؟ من فعل ذلك ماذا سوف يستفيد من ذلك؟ ربما نحتاج إلى التربية الجمالية في مدارسنا ولعلها تكون السبيل في التخفيف من هذه السلوكيات التخريبية. وفي تلك اللحظات نغفل أن هناك غضباً يجتاح بعض المراهقين وقد نكون نحن السبب فيه.

- مخالفة التعليمات والأوامر التي تلقونها من قبل الوالدين: فقد يسلك المراهقون ويتصرفون أشياء كثيرة تخالف كل ما تلقوه من تعليم وتهذيب ويكون الدافع لذلك اهتمامهم الكبير بردود فعل الآخرين وخاصة أترابهم نحوهم. .(الكيند وايرفينغ،١٩٩٦،٢٨٨).

- انتهاك القانون: ربما يلعب الجمهور دوراً في انتهاك القانون، حيث إن معظم دوافع السلوكيات المنتهكة للقانون عند المراهقين تنشأ من استجابة متوقعة من الجمهور لدرجة شجاعة تصرفهم.(Elkind,1967,1031)

فقد يتوقع المراهق أن الجمهور المتخيل يستحسن الاعتداء على الآخر، ويرى فيه عملاً بطولياً، وربما ينطبق ذلك على سلوك السرقة الذي ربما يراه من خلال الجمهور المتخيل دليلاً على الشجاعة والجرأة.وربما يكون إدراك المراهق لوجود الجمهور المتخيل الدافع وراء الاعتداءات اللفظية (التي كثيراً ما نسمع عنها) نحو القائمين على العملية التربوية كذلك وعدم الامتثال لأوامر السلطة الوالدية أو المدرسية. وليس من المستغرب أن يكون الجمهور المتخيل وراء كل هذه التصرفات غير المقبولة مادام الهدف الأساسي للمراهق لفت انتباه الآخرين أو الحصول على تأييدهم.

ب- العدوان على الذات: والذي يمكن أن يتمثل في محاولة الانتحار والتي غالباً ما تكون نادرة في الطفولة غير أنها تصبح أكثر تكراراً في المراهقة. فقد تكون ردود الفعل المتخيلة الدافع القوي لتنفيذ فكرة الانتحار والذي يراه المراهقون كوسيلة لعقاب من يشعرون أنهم يرفضونهم.بحيث يحصلون بهذه الطريقة على ملذاتهم وسرورهم من حزن وندم أولئك الذين تركوهم. (Elkind,1978,124)

ت- السلوكيات الغريبة: إن شعور المراهقين بأنهم دوماً على المسرح وأنهم موضوع ملاحظة من قبل الآخرين ربما يجعل سلوكياتهم غريبة (سواء في المظهر أوالملبس أوطريقة التحدث) في محاولة منهم للفت الانتباه. .(الكيند وايرفينغ،١٩٩٦،٢٨٨، ٢٨٩).

ث- ازدياد وعي الذات والامتثال لجماعة الأقران فيما يتعلق بمظهرهم نتيجة اعتقادهم أنهم موضع مراقبة وتقييم ومحاكمة من قبل الآخريـــــــن.(Vartanian,2000,2)

ج- تتصف العلاقات البينشخصية للمراهق بالسطحية وبعدم استمراريتها. وغالباً ما تقوم الصداقة خلال هذه المرحلة على تعريف ذاتي ومصالح ذاتية أكثر من مصالح واهتمامات متبادلة. فالفتاة الجميلة على سبيل المثال قد تصادق فتاة عادية الجمال لأن ذلك يبرز محاسنها. والبنت العادية الجمال من ناحية أخرى يمكن أن تستمتع لأنها مرتبطة بفتاة جميلة.(الكيند وايرفينغ، ١٩٩٩، ٢٨٩، ٢٩٠).

- التلفيقات الشخصية: Personal Fable

مفهوم افترضه الكيند يتمثل في ميل المراهق للاعتقاد بتفرد مشاعره وتفكيره وخبراته الانفعالية، وذلك من خلال قصص يختلقها عن نفسه، وهو اعتقاد خاطئ يردده المراهق عن نفسه ولنفسه.(Elkind ,1967,1031)

وقد بنى المراهق هذا الاعتقاد بناء على افتراضه بأنه مركز اهتمام وانتباه الآخرين، الأمر الذي جعله يشعر بتميزه كشخص متفرد Uniquenessوخاص Special وأسطوري ومنيع Invulnerable ، فمن المتعذر أن يتعرض لأي أذى، أو أي مخاطر،وأن الأشياء السيئة التي تحدث للآخرين لا تحدث له، فهو لا يخضع للقوانين نفسها التي يتعرض لها

الآخرون. وأن بعض الحقائق التي فطرنا عليها كالموت والشيخوخة والتي سوف تحدث لكل الناس، لن تحدث له أبداً.& (Elkind,1978,127). & (Elkind,No Date, Internet) (Elkind,1967,1031).

فالمراهق يشعر بأنه شخص متميز ومختلف عن الآخرين تمام الاختلاف وبشكل مبالغ فيه، ومن ثم لن يتساوى مع الآخرين في أي شيء، حتى في الحوادث الحياتية العامة.

فالنظام العقلي الجديد الذي أكسبه القدرة على التفكير الفرضي الاستبطاني مع انتقاله لمرحلة المراهقة ربما يجعله قادراً على تصور حياته الخاصة بكل تفاصيلها بشكل مختلف تماماً عن حياة الآخرين. وكذلك تصور نفسه ككائن خاص معصوم عن الوقوع في الخطأ الذي يمكن أن يقع فيه الآخرون.(علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٤٥٢) & (Messer , Dockrell,1998,357).

وكثيراً ما نلاحظ هذا البناء من خلال السلوكيات اللفظية للمراهق وأسلوبه في التحدث.

كما نلاحظ هذا البناء حين نطلع على مذكرات المراهقين التي تحتوي على تفصيلات عن حياتهم الخاصة وعن مشاعرهم وخبراتهم واحباطاتهم بحيث يكتبونها بشكل يوحي لأنفسهم وللقارئ كما لو أنهم أول إنسان على الأرض يتعرض لتلك الخبرات ويخبر تلك المشاعر، فلا أحد قبلهم شعر بما يشعرون به أو مر بنفس النشوة أو الحزن الذي يمرون بها. (Elkind,1967,1031) &(محمد عماد الدين اسماعيل،٢٠٠١،٢٤٤)ج٢

حيث يذكر الكيند" أن المراهق الصغير حين يخبر مشاعر وأفكار كثيرة ولأول مرة، فإنه يبدو كما لو كان أول شخص على الأرض يخبر تلك المشاعر. وليس من المدهش ما تقوله الفتاة الصغيرة لأمها حين تقع في الحب لأول مرة : لكن يا ماما أنت لا تعرفين ما أشعر به كوني أحب".(Elkind,1978,125,126)

وطبقاً لالكيند تعكس التلفيقات الشخصية الإخفاق في التمييز بين العام والخاص، فهذه المراهقة الصغيرة التي وقعت في الحب تخبر مشاعر جديدة ومثيرة إلا انها تفشل في التمييز بين ما هو جديد ومثير بالنسبة لها، وما هو جديد ومثير للنوع البشري. (Elkind,1978, ,126).

وتعدّ التلفيقات الشخصية كالجمهور المتخيل الدافع وراء الكثير من السلوكيات التي ربما تكون ايجابية أو سلبية.

فمن ناحية ربما تشكل التلفيقات الشخصية الدافع القوي وراء اجتهاده للتفوق في أحد المجالات كالموسيقا والأدب والرياضة وغيرها من المجالات. .(Elkind,1978,127)

ونلاحظ هنا أن التلفيقات الشخصية كالجمهور المتخيل ربما تكون الدافع بالنسبة للمراهقين للانخراط في الكثير من مجالات الأنشطة غير أن الفرق بينهما يكمن في الهدف الذي يرمي اليه الانخراط في هذه الأنشطة.

فعلى حين يكون الجمهور المتخيل هو الدافع وراء الانخراط في مجالات الموسيقا وغيرها، فإن هدف المراهق يكون الحصول على رضا هذا الجمهور، لأنه يتوقع منه القبول الايجابي لمن يمارس هذه الأنشطة، ومن ثم لفت انتباهه. ومن ناحية أخرى حين تكون التلفيقات الشخصية الدافع وراء ذلك الانخراط فإن هدف المراهق يكون التأكيد لنفسه وللآخرين مضمون تلك القصص التي يلفقها عن نفسه والتي تتم عن أنه شخص متفرد وخاص.

ربما يشكل شعور المراهق بتفرده ولكونه كائناً أسطورياً مصدر قوة وتشجيع لمواجهة الكثير من المشكلات الاجتماعية والأسرية والدراسية والعمل الجاد على مواجهتها والاصرار على النجاح في تخطيها. .(Elkind,1978,127)

فشعوره بالتفرد يغذي لديه الشعور بكونه قادراً على فعل أي شيء ، وأنه لا شيء يمكن أن يستعصي عليه.

كما يعزز بناء التلفيقات الشخصية الجوانب الأخلاقية للفرد بحيث يشعر أن لديه أهدافاً سامية وقيماً أخلاقية وشخصية خاصة ومثالية.(Elkind,1978,127) & (علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٤٥٣).

وقد نلاحظ ذلك في أفكار المراهق وأحاديثه حين نجد لديه الميل لبناء مجتمع مثالي خال من الغش والنفاق يتساوى فيه الناس. وكذلك في مفهومه عن الحب الطاهر أو الحب الروحي بعيداً عن الجسد وشهواته. وحل مشكلة الفقر وغير ذلك من الموضوعات الشائكة التي يسهل الحديث عنها نظرياً.

ومن ناحية أخرى ربما تشكل التلفيقات الشخصية الدافع وراء الكثير من السلوك المتهور:

فربما يسبب الإحساس بالتفرد حالة من التفكير المتهور، بحيث يفكر المراهق بأن الآخرين سوف يموتون ويتم إيذاءهم لكن ذلك لن يحدث له. فهو كائن خاص متفرد، لن يكبر ولن يموت، أما الآخرون فسوف يخضعون للقوانين الإلهية والقوانين الحياتية . .(Elkind,1978 ,127,128) & (Elkind,1967,1031)

كما أنه من الممكن أن تقود المراهق إلى الانغماس في السلوكيات الخطرة، فقد يجرب المراهق الصغير عقاقير مخدرة تحت تأثير اعتقاد خاطئ بأن الآخرين سوف يصبحون مدمني

مخدرات لكن من المتعذر أن يصبح هو كذلك. فهو لا يخضع للقوانين نفسها التي يخضع الآخرون لها.(Elkind,No Date, Internet) &(Elkind,1978 ,127,128)

وربما يعرضه الشعور بالتفرد وشعوره المبالغ فيه بالاختلاف عن الآخرين إلى مشاعر العزلة وتجريب السلوكيات الخطرة كالسرعة في القيادة، وممارسة الجنس خارج الزواج من دون أن يؤخذ بالحسبان احتمال حدوث الحمـــــــــل، بناء على الاعتقاد أن ذلك لن يحدث لهم كالآخرين. (Vartanian,2000,2)

مما تقدم نجد أن الكيند افترض أن التمركز حول الذات الذي يميز مرحلة المراهقة يتمثل من خلال بناءين هما التلفيقات الشخصية والجمهور المتخيل ويمكن القول إن كلاً منهما بناء وهمي من صنع خيال المراهق وغير حقيقي. ويفترض أن التمركز حول الذات منتج سلبي للنمو المعرفي يحدث كنتيجة الانتقال إلى مرحلة العمليات الشكلية.

وهذان البناءان متكاملان، حيث يكمل كل منهما الآخر. فالجمهور المتخيل ينعكس في إخفاق المراهق في التمييز بين محتوى تفكيره ومحتوى تفكير الآخرين،حيث ينشغل المراهق بالتفكير بنفسه ويعتقد أن الاخرين منشغلون به أيضاً، وهذا الجمهور نوعان إما معجب أو ناقد.

وينتج عن هذا الجمهور نوع من ارتفاع الوعي بالذات يتضح من خلال اهتمام المراهق بفكرة الآخرين عنه، وخاصة في الأمور التي تشغله كمظهره وملبسه.

وفي المقابل تعكس التلفيقات إخفاق المراهق في تمييز مشاعره عن مشاعر الآخرين. غير أن التلفيقات الشخصية تختلف عن الجمهور المتخيل في اتجاه الإخفاق في التمييز.

فعلى حين يعتقد المراهق من خلال الجمهور المتخيل أن ما يشغله هو نفس ما يشغل الآخرين، بمعنى أن هذا الإخفاق يتجه نحو التماثل التام في الأفكار بينه وبين الآخرين، فإن الإخفاق في التلفيقات الشخصية يتجه نحو الاختلاف والتمايز المطلق عن الآخرين. فهو شخص يميل إلى الاعتقاد على أنه متفرد ، خاص ، كائن أسطوري يتصور ذاته وحياته على أنها شيء لن يتكرر.وكل ذلك من خلال قصص يرددها لنفسه عن نفسه بحيث يؤكد فيها اختلافه عن الآخرين بدلاً من تماثله معهم. فهو عاجز عن تخيل ذاته كالآخرين . فلا أحد يشعر بشعوره ولا أحد يخبر ما يخبره. كما أنه شخص منيع لا يخضع للقوانين نفسها والأخطار التي يتعرض لها الآخرون.

ويرى الكيند أن التمركز حول الذات في المراهقة يميل إلى التـــــراجع بالعمـــــر ١٥-١٦ سنة من خلال التفاعل بين المستويات المعرفية والاجتماعية والعاطفية. فالجمهور المتخيل الذي كان في البداية جمهور متخيل يتعدل تدريجياً باتجاه ردود فعل الجمهور

الحقيقي. حيث يصبح مدركاً للاختلاف بين انشغالاته الخاصة واهتمامات وهوايات الآخرين وذلك من خلال الخبرة المتعاقبة والتمكن من العمليات الشكلية وليس نتيجة اكتساب قدرات عقلية جديدة وعليا إضافة إلى تأكيده أهمية التفاعلات الاجتماعية (Elkind,1974,94) &(Elkind,1967,1032).

فبعد أن تسيطر القدرة على التفكير الشكلي لدى المراهق وينشغل بالمكاشفة المتبادلة مع الآخرين، يتضح له أن تلك الموضوعات من التفكير التي تهمه بشكل كبير ليست الموضوعات نفسها من التفكير التي تهم الآخرين، ووفق ذلك تضعف نزعة الجمهور المتخيـــــــل لديه.(Vartanian,2000,3)

وطبقاً لالكيند فإنه من المحتمل أن يتم التغلب على التلفيقات الشخصية بالاضافة الى ماسبق من خلال الترسيخ التدريجي لما سماه أريكسون الألفة، فعندما تتوطد العلاقات البينشخصية بين الأفراد وتتضح الثقة المشتركة فإن الشخص الصغير يكتشف أن الآخرين لديهم مشاعر مشابهة لمشاعره الخاصة وأن لديهم معاناة ويبتهجون بنفس الطريقة. (Elkind,1967,1032).

كما يرى الكيند أن هناك علاقة بين التمركز حول الذات ومستوى النمو المعرفي، ومن ثم المرحلة العمرية، فبينما يظهر التمركز حول الذات من خلال الجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية بشكل كبير مع بداية مرحلة العمليات الشكلية والتي تقابل مرحلة المراهقة المبكرة نموذجياً،فإن هذه النزعات يقل ظهورها وتضمحل مع تماسك القدرة على التفكير العملياتي الشكلي والذي يقابل نموذجيا مرحلة المراهقة المتأخرة ومرحلة الرشد، إضافة إلى أن ظهورها لدى الأطفال (مفكرو العمليات المحسوسة) أقل منه لدى مراهقي المرحلة المبكرة.

العلاقة بين التمركز حول الذات والارتقاء المعرفي والعمر:

حاولت العديد من الدراسات التحقق من تفسير الكيند للتمركز من خلال معرفة العلاقة الارتباطية بين التمركز حول الذات والعمليات الشكلية أو من حيث علاقة التمركز حول الذات بالعمر.

وقد كان هناك بعض الدراسات التي دعمت تصور الكيند حول علاقة التمركز حول الذات بالعمليات الشكلية أو بالعمر كدراسة ستيرنكلار(١٩٨٥) حيث كشفت نتائج الدراسة عن أن النساء اللاتي لديهم قلق انفصال ويتمتعن بمستويات مرتفعة من النمو المعرفي أظهرن مستوى أقل من التمركز حول الذات.

وكذلك دعمت دراسة كراي وهادسون (١٩٨٤) منظور بياجيه والكيند بأن تمركز الذات عند المراهق يظهر كنتيجة لبداية العمليات الشكلية، وكشفت عن تضاؤل التمركز حول الذات بين أفراد العمليات المحسوسة.

في حين كان هناك دراسات كشفت عن ارتباط ضعيف بين العمليات الشكلية والتمركز حول الذات أو عن عدم وجود ارتباط بينهما فقد كشفت دراسة لابسلي وميلستيد وكوينتانا(١٩٨٦) عن عدم وجود علاقة ارتباطية دالة بين العمليات الشكلية وتمركز المراهق حول ذاته وذلك على مقياسي AES, IAS (وسوف يتم التعرف على هذه المقاييس في الفصل الرابع). كما كشفت دراسة فيلدس وجانك كاسبر (١٩٩٣) عن أن العمليات الشكلية لم تتنبئ بأي شكل عن تمركز المراهق حول ذاته. بينما كشفت دراسة ريك وزملائه(١٩٩٨) عن ارتباط ضعيف بين العمليات الشكلية والتمركز حول الذات.

أما بالنسبة للعلاقة بين التمركز حول الذات والعمر فقد دعمت دراسة كل من الكيند وبوين (١٩٧٩) Elkind & Bowen ودراسة لابسلي وميلستيد وكوينتانا (١٩٨٦) Lapsley &Milstead & Quintana تصور الكيند فقد كشفت نتائج هذه الدراسات أن درجات المراهقين الصغار في العمر ١٣-١٤ في التمركز حول الذات عالية حيث كانوا أقل رغبة في الكشف عن الذات من المفحوصين الأكبر.

وكشفت دراسة ريان وكازكوسكي(١٩٩٤) أن المفحوصين في الصف(١٢ المقابل للعمر١٧) كانوا أقل من المفحوصين في الصفوف من(٧-٩)، المقابلة للأعمار (١٢،١٣،١٤) على الذات الثابتة. ولم يكن هناك اختلافات دالة بين الطلاب في الصفوف الثلاث (٧،٨،٩) كما يبدو أن تناقص الجمهور المتخيل يحدث بين الصفوف(٩-١٢).أي بين الأعمار ١٤-١٧سنة.

كما كشفت دراسة أوكونور عن وجود علاقة عكسية معتدلة لكن دالة على شكل حرف u بين العمر والتمركز على مقياس IAS بين الذكور وتناقص الجمهور المتخيل يحدث في العمر ١٥-١٧ سنة.

على حين كشفت نتائج دراسة بيترسون وروس(١٩٩١) ما هو مناقض لنتائج الدراسات السابقة فقد كشفت عن وجود درجة أكبر من سلوك الجمهور المتخيل لدى طالبات الجامعة أكثر مما وجد عند المراهقين الأصغر عندما قورنوا بدرجات التقرير من قبل دراسة الكيند وبوين(١٩٧٩).

ويتضح أن نتائج الدراسات التي حاولت التحقق من تفسير الكيند للتمركز من خلال معرفة العلاقة الارتباطية بين التمركز حول الذات والعمليات الشكلية أو من حيث علاقة التمركز حول الذات بالعمر، نتائج متعارضة، تحتاج إلى مزيد من الدراسات للتحقق منها.

التمركز حول الذات والجنس:

إن العلاقة بين التمركز حول الذات والاختلافات الجنسية لابد من أن تؤخذ بالحسبان في الدراسات الطولية المستقبلية بشكل مستقل. ومن الملاحظ أن بعض الدراسات التي أخذت

في اعتبارها الفروق بين الذكور والإناث، اقتصر بعضها على سلوك الجمهور المتخيل في معرفة درجة وجود التمركز حول الذات لديهم، ففي دراسة كل من الكيند وبوين(١٩٧٩) وهادسون وكراي(١٩٨٤) وأوكونور(١٩٩٥) كشفت النتائج عن أن الإناث كانت درجاتهم أعلى من الذكور على مقياس (IAS). حيث تميز الإناث بوجود درجة عالية من سلوك الجمهور المتخيل أكثر من الذكور.

على حين يرى ريان وكازكوسي(١٩٩٤) أنه لا يوجد سبب نظري لوجود اختلافات بين الجنسين على **الذات الثابتة** وهي أحد المقاييس الفرعية في مقياس الجمهور المتخيل. وقد دعمت نتائج دراسته ذلك حيث كشفت عن أن درجات الإناث أعلى من الذكور على الذات العابرة فقط بشكل دال.

وبالنسبة لسلوك الجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية فقد كشفت نتائج دراسة أوكونور(١٩٩٥) عن أن التمركز حول الذات فيما يتعلق بكل من البناءين كما قيسوا بمقياسAES أعلى عند الإناث من الذكور.

وبذلك يتضح أنه لابد من إجراء دراسات تتبعية للتمركز حول الذات (الجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية) لتحديد درجة وجود هذا المتغير وفق متغيري العمر والجنس.

٢- نظرية فرويد:

وتتضمن عرضاً لبناء الشخصية كما يراها فرويد، ومن ثم مراحل النمو النفسي لديه.

أ- <u>بناء الشخصية</u>:

يرى فرويد أن الشخصية تنظيم دينامي لمجموعة من القوى الداخلية التي تتفاعل فيما بينها بطريقة تحكم فيها تفاعل الفرد مع بيئته وتدفعه للأمام بهدف إشباع حاجاته ورغباته الأساسية.(علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٨٧) (روبرت واطسون، هنري كلاي ليند جرين،٢٠٠٤،١٥٤).

وتتمثل هذه القوى الداخلية الثلاث بالهو، والأنا، والأنا الأعلى.

- الهو:

تمثل الهو وفق منظور فرويد أقدم المناطق والقوى النفسية في الشخصية،كونها تتضمن كل موروث يظهر عند الميلاد.(سيجموند فرويد،٢٦،٢٠٠٠).

ومن ثم فإنها تتضمن الحاجات والدوافع البيولوجية الأولية للشخص كالأكل والنوم والجنس، وتمثل بدورها الطاقة الأساسية المستمرة للسلوك الإنساني التي تدفعه للنشاط والحركة لإشباعها بأي طريقة بغض النظر عن الأخلاق والمنطق. (روبرت واطسون، هنري كلاي ليند جرين،٢٠٠٤،١٥٥) .(علاء الدين كفافي،١٩٩٩،٢٣٢).

كما تمثل هذه القوى طبقاً لفرويد الجزء اللاشعوري من الشخصية، الذي يرتكز على إشباع الرغبات الجسدية ويعمل وفق مبدأ اللذة بحيث يبحث عن المتعة ويستمدها من التخلص من التوتر الذي يشعر به على صورة ألم أو عدم ارتياح دون وضع أي اعتبار لأي شيء ومن دون أي أثر للواقعية أو لاعتبارات حقوق الآخرين(كالفن س هول،١٩٨٨،١٩،٢٤) (روبرت واطسون، هنري كلاي ليند جرين،٢٠٠٤،١٥٥).

وطبقاً لذلك يمكننا الاستدلال على هذه القوى المتمثلة بالهو من خلال ملاحظة سلوكيات الطفل الصغير حين يحتاج أي شيء كالأكل أو الإخراج أو الحضن ، ومن خلال اندفاعه لتحقيق رغباته دون التفريق بين الصح والخطأ، أوالوقت المناسب وغير المناسب.

- الأنا:

يرى فرويد أن الأنا ينشأ نتيجة تأثير العالم الخارجي المحيط بنا، ليقوم بعدد من الوظائف أهمها المحافظة على الذات وذلك من خلال السيطرة على الداخل والذي يتمثل بالهو وعلى الخارج الذي يتمثل بالبيئة المحيطة. .(سيجموند فرويد،٢٠٠٠،٢٦،٢٧).

فهناك رغبات ودوافع للفرد يدفعه الهو لإشباعها، وهناك أيضاً عقبات وموانع في البيئة التي يعيش فيها الفرد تمنعه من الإشباع ، فيعمل الأنا على تنظيم تفاعل الهو مع العالم الخارجي وفق مبدأ الواقع بحيث يراعي متطلبات البيئة والواقع الاجتماعي وشخصية الفرد ككل في اشباع حاجات ودوافع الهو.(علاء الدين كفافي،١٩٩٩،٢٣٢) (كالفن س هول،١٩٨٨،٢٦،٢٧).

وقد يبدو أن الأنا كيان شعوري إلا أن جزءاً كبيراً منه يتواجد في ماقبل الشعور، بحيث يمكن جعله شعورياً، بينما جزء آخر منه لاشعوري نتيجة عملية الكبت التي تحدث للعناصرالتي لا يقبلها الأنا.(روبرت واطسون، هنري كلاي ليند جرين،٢٠٠٤،١٥٥،١٥٦).

اذن فالأنا هو المنطقة والقوى النفسية التي تلي الهو في النشأة، إلا أن نشأتها تختلف تماماً عن نشأة الهو. فبينما ينشأ الهو مع ولادة المولود متضمناً كل ما هو موروث، فإن الأنا ينشأ نتيجة الخبرة والتفاعل بين المولود وبين العالم الخارجي.

ويبدو أن الهو كما يرى فرويد المحرك الأساسي لكل سلوك يلتمس فيه الفرد الإشباع للحصول على اللذة، إلا أن الأنا يقف في طريقه محاولاً السيطرة على دوافعه فيرجيء إشباعها حتى يجد الوقت المناسب، أو يختبر الواقع ويقوم بالتخطيط المناسب حتى يكتشف الأسلوب الأمثل لتحقيق الإشباع الذي تدفع له الهو، وكل ذلك بهدف حماية الذات وتحقيق التوازن للشخصية.

وطبقاً لفرويد قد يعجز الأنا عن القيام والسيطرة بطرق واقعية على المشكلات والحصول على الأسلوب المناسب لاشباع رغبات الهو فيلجأ إلى أسلوب آخر يقوم على إنكار وتزييف الحقيقة ويعرف هذا الأسلوب بالحيل الدفاعية، كالكبت والإسقاط، والتثبيت، والنكوص، والتوحد والإعلاء، والتكوين العكسي وغيرها. وعلى الرغم من أن هذه الحيل الدفاعية تعوق النمو النفسي ، وتسيطر على الأنا وتنتقص من مرونته وقدرته على التكيف ، إلا أنها في الوقت نفسه من الوسائل الوقائية بالنسبة لأنا الطفل. (كالفن س هول،١٩٨٨،٩٩،١٠٠،١١٥،١١٦).

وهذا يعني أن الطفل الصغير الذي أناه في بداية تشكله، ضعيفاً وغيرقادر بعد على مواجهة كل المتطلبات بطريقة عقلية وواقعية،والتوافق معها، غالباً ما يلجأ إلى مثل هذه الأساليب ليقي أناه من حدة القلق الذي يسيطر عليه.

فالحيل الدفاعية سلاح ذو حدين، قد تكون مناسبة في عمر زمني معين وبدرجة معقولة إلا أن استمرار سيطرتها لأي سبب من الأسباب مع التقدم في العمر، سوف يؤدي إلى إعاقة النمو النفسي للفرد.

كما يرى فرويد أن بعض هذه الحيل الدفاعية كالتوحد والإعلاء قد تكون ذات تأثيرات ايجابية، فالتوحد يسمح لقيم وقواعد المجتمع أن تنتقل من جيل لآخر مؤكدة بعض الثبات والاستمرارية في أنماط سلوكية مقبولة. أما الإعلاء فيتضمن أنشطة مفيدة للجنس البشري حيث إنه يعمل على تحويل الدوافع الغريزية وإعادة توجيهها في أنشطة بناءة ومنتجة.(روبرت دناي،٢٠٠٣،٧٦،٧٧).

ويعدّ عشق الطفل لأمه أحد الأمثلة المهمة التي يحدث فيها إعلاء، فحين تكون الأم موضوعاً لعشق الطفل، المرأة المثالية، ومن ثم يكتشف أنه لا يمكنه الاستئثار بها وحده، إضافة إلى تبينه لما بها من أوجه نقص ، نجده يندفع للبحث عن بديل ، ومنه إلى بديل آخر حتى يتبين له أن اختياراته لا توصل لشيء عندها يفتش في أحلام اليقظة عن المرأة الكاملة ، ولو كان ذا موهبة لقام بكتابة الشعر أو رسم الصور التي تتجسد فيها فكرته وتصوراته عن المرأة المثالية ، ففي بحثه هذا عن بديل للأم يتحول من إعلاء إلى آخر، ببحيث يؤثر هذا الاعلاء فيما لديه من ميول وهوايات وعادات شخصية وسمات وقيم واتجاهات وعواطف وتعلقات. (كالفن س هول، ١٩٨٨،٩٤،٩٥)

- الأنا الأعلى:

يرى فرويد أن الأنا الأعلى ينشأ كجزء من الأنا ليستقل عنه فيما بعد نتيجة تمثل واستدخال الطفل لمعايير والديه خلال فترة الاعتمادية الطفولية. (كالفن س هول،١٩٨٨،٣٠).

الأمر الذي يجعله مصدراً للتحكم الداخلي في تصرفات وسلوكيات الفرد.(روبرت واطسون، هنري كلاي ليند جرين،٢٠٠٤،١٥٦).

فبعد أن كان الوالدان المصدر الأساسي للتحكم بسلوك الطفل، تصبح معاييرهما وقيمهما التي تمثلها الطفل واستدخلها مع تطوره بمنزلة الرقيب على سلوكه. فلم يعد الوالدان يحاكمان الفرد ويعاقبانه أو يثيبانه على سلوكياته إنما أصبح الأنا الأعلى الذي تكون لديه هو الذي يؤنبه ويشعره بالذنب،وبمشاعر الدونية والإثم وربما يعاقبه، أو يثيبه فيشعر الفرد بمشاعر الزهو والفخر. . (كالفن س هول،١٩٨٨،٣٠،٣١).(روبرت واطسون، هنري كلاي ليند جرين،٢٠٠٤،١٥٦،١٥٧).

وطبقاً لفرويد فإن المعايير المستدخلة والتي تشكل بمجموعها الأنا الأعلى لا تقتصر فقط على تأثير الوالدين، إنما تتضمن أيضاً التأثير المتأصل للتقاليد العائلية والعنصرية والقومية وكذلك مطالب البيئة الاجتماعية التي يمثلانها بالإضافة إلى التأثيرات المستمدة من المعلمين والشخصيات البارزة في الحياة العامة.(سيجموند فرويد، ،٢٠٠٠،٢٨).

فالشخصية كما يراها فرويد تنظيم بنائي مؤلف من الهو الذي يرتكز على الحاجات والدوافع البيولوجية الفطرية، ونتيجة للتطور والتفاعل بين الهو والبيئة ينشأ الأنا ومنه ينشأ الأنا الأعلى.

هذه القوى أو التنظيمات الثلاثة للشخصية تتفاعل فيما بينها بشكل مستمر، حيث يدفع الهو بالفرد إلى التماس الإشباع، لكن الأنا يحول دون ذلك إلا في الحالات التي تسمح فيها الثقافة بذلك، وهو في ذلك يحول دون الصدام بين القوتين المتعارضتين، ويحاول أن يوازن بينهما، ويتوقف توافق الفرد واتزانه على ما يحققه الأنا من نجاح في مهمته، وعلى قدر ضعف الأنا وعدم قدرته على القيام بوظيفته يكون ضعف الفرد وتردده واضطرابه.(علاء الدين كفافي،١٩٩٩،٢٣٢).

فأجزاء الشخصية ثلاث قوى، تمثل اثنتان منها (الهو والأنا الأعلى) طرفين متناقضين متطرفين، يتضمن الأول ما هو موروث، في حين يتضمن الثاني ما هو مكتسب نتيجة التفاعل مع الآخرين. مطالب الهو الملحة ومطالب البيئة الخارجي. أما القوة الثالثة(الأنا) فتتضمن حصيلة التفاعل والخبرة بين الفرد والعالم الخارجي ويحدث ذلك بسبب مطالب الهو الملحة، ومطالب البيئة الخارجية ، وبذلك تمثل قوى الأنا التوازن بين القوتين المتعارضتين(الهو، والأنا الأعلى) وهي قوة أساسية تنبع أهميتها من دورها في المحافظة على الشخصية وتوافقها واتزانها.

وكلما ضعف الأنا لجأ إلى الحيل الدفاعية التي تعتمد أساساً على تزييف الواقع والحقيقة وعلى المواجهة غير الحقيقية والزائفة لكل ما يمر به الفرد، بهدف تخفيف القلق الذي ينخر في نفس الفرد.

وعلى الرغم من نجاح هذه الحيل في تحقيق هذه المهمة إلا أنه نجاح زائف ، فمن جهة يخفف من حدة القلق ومن جهة أخرى يعطل النمو النفسي للفرد ويضعف مقاومته وقدرته على التوافق مع المتطلبات الحياتية.

ويبدو أن فرويد يستثني من هذه الحيل المعيقة للنمو النفسي كل من التوحد والإعلاء على اعتبارهما الحيل الأكثر نفعاً، والمسؤولة عن بلوغ الإنسانية، الرقي الحضاري الذي نعيشه اليوم.

ب- مراحل النمو النفسي عند فرويد:

تتركز نظرية فرويد من الناحية النمائية على أن هناك دوافع تلتمس الإشباع من خلال الجسم أو بشكل أدق من مناطق في الجسم تكون أكثر استثارة. وتختلف كيفية إشباع هذه الدوافع والمناطق الجسمية المرتبطة بإشباعها حسب المرحلة النمائية التي يمر بها الفرد.(علاء الدين كفافي،١٩٩٩، ٢٢٩).(روبرت واطسون، هنري كلاي ليند جرين،٢٠٠٤، ١٥٨).

وطبقاً لفرويد تنقسم هذه المراحل إلى خمس مراحل، تستمر من مرحلة الولادة حتى مرحلة المراهقة، وتعرف كل مرحلة باسم منطقة الجسد التي يتم التماس الإشباع من خلالها. وهذه المراحل هي:

- المرحلة الفمية المبكرة:Oral Stage

يمثل الفم طبقاً لفرويد المنطقة التي يلتمس من خلالها الرضيع الإشباع،ويكون مص ثدي الأم الإشباع النموذجي لهذه المرحلة. .(علاء الدين كفافي،١٩٩٩، ٢٢٩)

ويرى فرويد أن إشباع حاجة الفم للمص يؤدي وظيفتين أساسيتين هما المحافظة على الذات من خلال التغذية إضافة إلى الحصول على اللذة الجنسية بشكل منفصل عن التغذية بحد ذاتها. ويرى أن لهذه العملية التي ربما تبدو بسيطة وما يخبره الطفل من ورائها تخلف آثاراً نفسية تلازم الفرد طوال حياته. (سيجموند فرويد،دون تاريخ،٣٤٦).

فكلما كانت عملية الرضاعة مشبعة للطفل ومحاطة بالحب والحنان من جانب الأم تطور الشعور بالذات وساعد على تخلي الرضيع عن قدر كبير من نرجسيته ليمنحه للأم في مقابل ما تمنحه هي من الحب والعطف والحنان، أما إذا كانت عملية الرضاعة محبطة فلن يتخلى الطفل عن نرجسيته وعشقة لذاته لأن أمه لا تعوضه عنها.(طلعت حسن عبد الرحيم،١٩٨٣، ١٠٥).

- المرحلة الشرجية: Anal Stage

يمثل الشرج طبقاً لفرويد منطقة الإشباع في هذه المرحلة، حيث يتعلم الطفل وسيلة جديدة لإشباع رغبته الجنسية والحصول على اللذة وذلك من خلال تهيج الغشاء المخاطي في فتحة الشرج عند عملية الإخراج. (علاء الدين كفافي،١٩٩٩، ٢٣٠)

لذلك فإن تدريب الأسرة له على ضبط عملية الاخراج تعدّ بمنزلة المؤشر الأولي على ألوان الصراع الداخلي والخارجي التي سيلقاها في حياته المقبلة كما يرى فرويد.(سيجموند فرويد،دون تاريخ،٣٤٧).

فهو يتعلم أن هناك موانع وعوائق تحول بينه وبين الحصول على اللذة متى شاء، وأينما شاء، وأنه لا يستطيع أن يحرر نفسه في أي مكان أو أي وقت من الفضلات إن أراد ذلك، كما يتعلم أن عليه أن يرضي أمه أيضاً بتنظيم الإخراج في أوقات محددة، وفي المكان المحدد.(روبرت واطسون، هنري كلاي لبند جرين،٢٠٠٤،١٥٩).

لذلك فإن انجاز ذلك وتجاوز هذه المرحلة بنجاح يتوقف على الموقف الواعي من الوالدين القائمين على مساعدة الطفل وتدريبه وحثه على التعاون معهم بدلاً من التحكم الزائد والتدريب القاسي الذي يؤدي إلى إعاقة وتشويه نمو الأنا لدى الطفل، وربما يؤدي إلى حدوث تثبيت عند هذه المرحلة . (محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،١٠٤).(روبرت واطسون، هنري كلاي لبند جرين،٢٠٠٤،١٥٩).والتثبيت هو أحد أشكال الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الأنا للتخفيف من القلق تتميز هذه الوسيلة بتعطل النمو والتشبث بشخص أو موضوع أو مرحلة من مراحل النمو النفسي الجنسي ما يقلل فيما بعد القدرة على التوافق مع الواقع الذي يؤدي بدوره إلى حدوث مرض نفسي أو عقلي. (سيجموند فرويد، ٢٠٠٠،١٢٧)

- المرحلة القضيبية: Phallic Stage

طبقاً لفرويد تصبح الأعضاء التناسلية منطقة الإشباع في هذه المرحلة، وتبلغ الجنسية الطفلية الأولى ذروتها وتقترب من اضمحلالها وتظهر عقدة أوديب حيث يميل الطفل الذكر إلى أمه وينظر لأبيه كمنافس. ويؤدي به خوفه من أن تكشف أفكاره هذه ومشاعره إلى القلق والخوف من الإخصاء. (سيجموند فرويد، ،٢٨،٢٠٠٠) ، (روبرت د. ناي،٢٠٠٣،٦٢).

وبالرغم من أن التوحد مع الوالد هو الشكل النموذجي لحل هذه العقدة، والطريق الأمثل للوصول الى نتائج ايجابية تتضح في تبني الطفل لقيم ومعايير والده، ونمو الأنا الأعلى، والاقلال من قلق عقدة الخصاء والى تعلم الولد الدور الجنسي الذكري، إلا أن فرويد يرى أن هذا ليس هو الحال دائماً، فقد يحدث توحد مع الجنس المخالف ويؤدي الى نتائج تؤثر على النمو اللاحق بشكل سلبي وتؤدي الى اضطرابه. (علاء الدين كفافي،١٩٩٩، ٢٣٠)، (روبرت د. ناي،٢٠٠٣،٦٢).

وبينما يؤكد فرويد على عقدة أوديب والقلق من الاخصاء الذي يسود هذه المرحلة بالنسبة للطفل الذكر فإنه في المقابل يرى ظهور عقدة الكترا لدى الطفلة الأنثى، حيث تميل الأنثى إلى أبيها وتنظر لأمها كمنافسة. .(طلعت حسن عبد الرحيم،١٩٨٣،١٠٦).

وبسبب الفروق التناسلية التي تلاحظها الأنثى بينها وبين الذكر تنشأ لديها عقدة حسد القضيب، ولحل هذه العقدة تتوحد الطفلة مع أمها كمحاولة لاستعادة مظاهر فقدان حب الموضوع. وكما يحدث عند الذكر، ربما تتعطل عملية التوحد مع الجنس نفسه ما يؤثر بشكل سلبي على عملية النمو. ويبدو أن فرويد يرجع اتجاه التأثير لحل العقد(أوديب، والكترا) سواء أكان إيجابياً أو سلبياً إلى التفاعل بين الاستعدادات والعوامل الوراثية، وبين التنشئة والخبرات الأسرية، والخصائص الشخصية للوالدين.(روبرت د. ناي،٢٠٠٣،٦٢).

- مرحلة الكمون: Latency Stage

طبقاً لفرويد تعدّ مرحلة الكمون الفترة الزمنية الفاصلة بين كل من المراحل السابقة القبل التناسلية وبين المرحلة اللاحقة التناسلية. فخلالها يمر الفرد بفترة كمون تدوم حتى البلوغ يخمد خلالها الدافع الجنسي الطفلي تحت وطأة الكبت، وينشأ خلالها مكونات مضادة تمثل لب الأخلاق والحياء والاشمئزاز.(سيجموند فرويد،١٩٩٤، ٥٩).

ويبدو ذلك من خلال ردود الفعل الصريحة والواضحة التي تعبر عن مقاومة أطفال هذه المرحلة وازدرائهم للعب مع زملاء من الجنس المخالف، مفضلين على ذلك اختيار زملاء اللعب من الجنس نفسه كصورة مقنعة للذة الذاتية. (محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،١١٢).

فبعد أن كان يستمد لذته من ذاتيته بتحسس والتماس أعضائه التناسلية، أصبح يلتمسها من خلال الآخرين من الجنس نفسه ولكن بصورة مقنعة، كاللعب والتعلم وممارسة الأنشطة الرياضية، وأنشطة جماعة الأقران، وإبداء التعاطف والتوحد مع الآخرين،والامتثال لأوامرهم. .(محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،١١٢)،(علاء الدين كفافي،١٩٩٩،٢٣٠).

- المرحلة التناسلية:Gential Stage

تعدّ فترة البلوغ طبقاً لفرويد فترة عودة الحياة، حيث تعود الحيوية إلى دوافع الطفل وعلاقاته التي سطرت في السنوات الأولى بعد مروره بفترة من الركود والهدوء النسبي الذي تتسم به مرحلة الكمون.(سيجموند فريد،١٩٩٤، ،٦٠٥٩).

فتزداد الاهتمامات والميول الجنسية وتصل ذروتها، وتتركز على أعضاء الجنس المقابل، وتكتمل الطاقة النفسية باكتمال الميول التي سادت المراحل السابقة ناتجاً عن ذلك الشكل النهائي الذي تتخذه هذه الميول والذي يتضح في الجنسية الراشدة والسوية، التي تدفع بالفرد إلى إقامة علاقات جنسية غيرية مشبعة. (علاء الدين كفافي،١٩٩٩،٢٣١)، (محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،١١٢،١١٣، ١١٤)

وعلى الرغم من الصراع الذي يعيشه المراهق بسبب ما يفرضه عليه المجتمع من معوقات وما يفرضه عليه ضميره من تحريمات يعوقانه عن تحقيق رغباته الجنسية الحادة تجاه الجنس المخالف، فإن فرويد يؤكد أهمية الجنس في حياة الفرد، بل وعلى ضرورة إشباع هذا الدافع وفق المراحل النمائية التي يمر بها خوفاً من توقف النمو النفس –جنسي، أو ما يعرف بالتثبيت عند مرحلة معينة يجعل الفرد عرضة إلى النكوص إلى هذه المرحلة وإشباعاتها حين يواجه مواقف صعبة أو قاسية في حياته ما يؤدي بدوره إلى إعاقة النمو الناضج والسوي. (محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،١١٣،١١٤) ،(علاء الدين كفافي،١٩٩٩،٢٣١).

فالنمو النفسي للفرد كما يراه فرويد يستند أساساً إلى حاجة الفرد للاشباع الذي يتم التماسه من خلال إحدى المناطق الجسدية وفقاً لتدرج مرحلي مبني على الإحساس الجنسي البسيط المتمركز بمنطقة الفم بدء من الولادة وانتهاء بالبلوغ الذي تكتمل خلاله وتتبلور الطاقة الجنسية على شكل دافع قوي لإقامة علاقة جنسية راشدة وسوية .

ويؤكد فرويد دائماً أهمية الإشباع لكل مرحلة من مراحل النمو النفسي، وينذر بالمقابل بحدوث التثبيت وإعاقة النمو النفسي إن لم يحدث هذا الإشباع بشكل ناجح.

٣- نظرية لابسلي Lapsley حول التمركز حول الذات (نظرية النظرة الحديثة)New Look

اقترح لابسلي (١٩٩٣) تفسيراً جديداً للتمركز حول الذات الذي يتمثل بالجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية.استبدل من خلاله التفسير المعرفي لنشوء التمركز حول الذات بعملية الانفصال والتفردSeparation-Individuation

وتعدّ عملية الانفصال النفسي عن الوالدين والتفرد من المهمات النمائية الخاصة بمرحلة المراهقة، وتحقيقها ما هو إلا خطوة ضرورية نحو اكتساب إحساس ناضج بالهوية الشخصية.

إلا أن تحقيق عملية الانفصال والتفرد تستلزم تغيرات لابد من أن يواجهها المراهق أثناء كفاحه لاتمام هذه العملية، وتشمل هذه التغيرات كل من المجال النفسي الذاتيIntrapsychic والمجال المتضمن العلاقات بيـــــن الأشخـــــاص Interpersonal

فبالنسبة للمجال النفسي الذاتي يكون على المراهق إعادة التنظيم المعرفي لتماثلات الطفولة، وإحساس الطفولة بالذات، وعليه أن يخطط لاكتساب إحساس ناضج للذات وفق إطار من العلاقة المتبادلة.

أما في مجال العلاقات بين الأشخاص ومع الوالدين تحديداً فيكون على المراهق القيام بمفاوضات جديدة ضمن إطار العلاقات الأسرية ينجز من خلاله اتصال وترابط ناضج يحافظ

على استمرار العلاقة، لاسيما أن عملية الانفصال والتفرد تتطلب المزيد من العلاقات والتفاعلات خارج نطاق الأسرة، الأمر الذي ربما يشكل قلقاً من فقدان أو تهديد العلاقة مع الوالدين، فينشأ الجمهور المتخيل للتعبير عن هذا القلق وكوسيلة دفاعية أو مساعدة للمحافظة على الترابط وإعادة تشكيل علاقة المراهق مع الوالدين.

فالجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية ماهي إلا آليات صحية مساعدة يلجأ إليها المراهق لمواجهة هذه التغيرات وإتمام عملية الانفصال النفسي عن الوالدين وتحقيق التفرد.

وفي نموذج لابسلي الجديد رؤية للجمهور المتخيل تختلف عن رؤية الكيند، فالجمهور المتخيل وفقاً له شكل من نزعة الاتصال بالموضوع (Object Relations) تتضح في ميل المراهق إلى تخيل ذاته في مركز الانتباه في مواقف من التفاعلات الاجتماعية والبينشخصية من خلال أحلام اليقظة، ما يسمح له بالمحافظة على درجة من الترابط في العلاقات بين الأشخاص خلال كفاحهم للوصول إلى الانفصال النفسي حتى ولو كان ذلك في الخيال.

فبناء الجمهور المتخيل، ورؤية الذات في سيناريوهات متنوعة من العلاقات بين الأشخاص تخدم كوظائف دفاعية ونكوصية. حيث يبني المراهقون ردود فعل تجريبية وعلاقات ادعائية زائفة تعوض عن غياب أو فقدان العلاقات الموضوعية. وتجهزهم لدرجة من الترابط الناضج.(Lapsley,1993,567,565)

لذلك فإن طبيعة العلاقات مع الوالدين طبقاً لرؤية لابسلي قد تلعب دوراً في درجة الانشغال بالجمهور المتخيل.

فالمراهقون الذين يدركون والديهم على أنهم أكثر دعماً وتأييداً ، سيكونون أكثر قدرة على المحافظة على درجة من الترابط معهم خلال نضالهم للحصول على الاستقلالية والانفصال والتفرد ومن ثم سيكون انشغالهم بالجمهور المتخيل كآلية دفاعية مساعدة لتحمل فقدان التبعية والاعتماد السابق على الوالدين أقل. (Vartanian,2000,6,)

بينما المراهقون الذين تنطوي علاقاتهم البينشخصية وتحديداً مع الوالدين على مشكلات فإنهم يميلون للانشغال أكثر بنزعة الجمهور المتخيل كآلية دفاعية تعويضيـــــة نكوصيـــة.(Lapsley,1993,568)

أما التلفيقات الشخصية في رؤية لابسلي، فلا تختلف عن رؤية الكيند . غير أنه أضاف إلى مشاعر التفرد الشخصي Personal Uniqueness والمناعة Iinvulnerability التي تجعل المراهق يشعر بأنه شخص أسطوري من المتعذر ايذائه، نزعة أخرى تتمثل في أن المراهق شخص ذو نفوذ Omnipotence (Lapsley,1993,563)

وطبقاً للابسلي فإن التلفيقات الشخصية أيضاً وسيلة صحية ومساعدة في اتمام عملية الانفصال والتفرد حيث تلعب هذه الآلية دوراً رئيسياً في التخلص من القلق الذي ربما يشعر

به المراهق بسبب فقدان التبعية للوالدين وذلك من خلال التأكيد والمبالغة في مشاعر التفرد الشخصي والاختلاف عن الآخرين وكذلك شعور المراهق أنه شخص ذو نفوذ ومنيع ولا يمكن أن يتعرض للأذى مما يدعم بدوره عملية الانفصال والتفرد، ومن ثم إعادة تشكيل الذات الأمر الذي يقود إلى اكتساب إحساس ناضح بالهوية. (Vartanian,2000 ,6,7)

مما تقدم تستطيع الباحثة القول إن كلاً من الجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية عمليتان متكاملتان أو متممتان لبعضهما بعضاً. ففي حين يحافظ الجمهور المتخيل على درجة من الترابط مع الوالدين والأسرة بسبب القلق الذي ربما ينشأ عن فقدان الاعتمادية السابقة على الوالدين فإن التلفيقات الشخصية في المقابل تعمل على التخلص من هذا القلق ودعم عملية الانفصال والتفرد بحيث تحقق كلتا العمليتان التوازن في عملية الاتصال – الانفصال.

٤- بعض نقاط الالتقاء بين نظرية فرويد ونظريد لابسلي:

يبدو أن الجزء الأساسي من نظرية لابسلي قد استند إلى المفاهيم الأساسية لنظرية فرويد ، فالحيل الدفاعية مفهوم فرويدي، وهي كما ذكرنا سابقاً وطبقاً لفرويد لها وظائفها الوقائية بحيث تخفف من حدة القلق الذي يواجهه الفرد، ولكن في حال تم اللجوء إليها بدرجة قليلة وفقط حين يكون الفرد صغيراً لايقوى أناه بعد على المواجهة الواقعية.

وقد عدّ لابسلي كل من الجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية حيل دفاعية يلجأ اليها المراهق للتخفيف من حدة القلق الذي يفرضه تحقيق أحد المتطلبات النمائية المهمة في هذه المرحلة، والذي يتمثل بالانفصال والتفرد.

وتعتقد الباحثة بأن الجمهور المتخيل وفقا لمفهوم لابسلي ما هو إلا شكل من أشكال الإعلاء(displacement)التي تحدث عنها فرويد. وأن التلفيقات الشخصية شكل من أشكال التكوين العكسي((reaction formation) التي تحدث عنها فرويد أيضاً.

ويمكن توضيح ذلك وفق مايلي:

إن تحقيق الانفصال والتفرد يتطلب من المراهق إقامة علاقات خارج نطاق الأسرة الأمر الذي يجعله يعاني من الشعور بالقلق وذلك بسبب:

- الخوف من فقدان حب الوالدين بالدرجة الأولى.
- والخوف من فقدان التبعية لهما بالدرجة الثانية.

وللتخلص من القلق الذي ينتج عن الخوف من فقدان حب الوالدين يلجأ المراهق الى إحدى الحيل الدفاعية ذات التأثير الايجابي فيبحث عن بديل يتضح بالجمهور المتخيل وفقاً لمفهوم لابسلي وهو المفهوم المطابق للإعلاء عند فرويد. ويجده هذا البديل في أحلام اليقظة من خلال تخيل الذات في مركز الاهتمام في مواقف من التفاعلات الاجتماعية والبينشخصية، الأمر الذي يساعده على المحافظة على درجة من الترابط مع الوالدين.

أما بالنسبة للتخلص من القلق الذي يعانيه بسبب الخوف من فقدان التبعية للوالدين فإنه يلجأ الى بديل آخر ذي تأثير ايجابي يتجلى في التلفيقات الشخصية وفقاً لمفهوم لابسلي، المطابق للتكوين العكسي عند فرويد والذي هو:

حيلة دفاعية لستر الخطر من خلال التركيز والمبالغة على نقيضه.(روبرت د.ناي،٢٠٠٣، ٧١) (كالفن س.هو،١٩٨٨، ١٠٩، ١١٦)

فخوف المراهق من فقدان التبعية يستبدله بماهو عكسه فيؤكد ويبالغ في مشاعر التفرد الشخصي والاختلاف عن الآخرين وكذلك شعوره بأنه شخص ذو نفوذ ومنيع ولا يمكن أن يتعرض للأذى ما يدعم بدوره عملية الانفصال والتفرد.

ويبدو أن كل من فرويد ولابسلي يلتقيان في أن هناك قلقاً وخوفاً يعاني منهما الأطفال والمراهقون حين يخبرون أحد أشكال قلق الانفصال ومن بينها الانفصال عن الوالدين لتحقيق الاستقلالية.

ويرى فرويد أن تحقيق هذه الاستقلالية قد يشكل مشكلة يتوقف على نتائجها نمو المرء أو ثبوته وتعطل نموه النفسي. ويزداد احتمال التثبيت إذا سبق للفرد أن خبر نبذ الأبوين وعرف كيف يلفظانه. (كالفن س هول،١٩٨٨، ١١٢، ١١٣).

ومن ناحية أخرى يرى لابسلي أن الانشغال بالجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية قد يحل المشكلة ويقي الفرد من الخوف والقلق، ويساعده في اتمام عملة الانفصال والتفرد بنجاح.

٥- بعض أوجه الشبه والاختلاف بين نظرية النظرة القديمة (الكيند) والنظرة الجديدة(لابسلي):

من خلال عرض نظرية كل من لابسلي والكيند حول التمركز حول الذات في مرحلة المراهقة نجد هناك بعض أوجه الاختلاف والشبه فيما بينهم تتجلى فيما يلي:

يعتمد الكيند على التفسير المعرفي وفق بياجيه في نشوء التمركز حول الذات. ويرى التمركز حول الذات (الجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية) كمنتج سلبي للنمو المعرفي. وبمعنى آخر فإن هذين البناءين يعكسان قصوراً في التفكير يتم تجاوزه من خلال التفاعلات الاجتماعية والتمكن من العمليات الشكلية.

بينما يعتمد لابسلي على عملية الانفصال والتفرد في تفسير وجود كل من الجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية. ويراهما كوسائل صحية ومساعدة من خلال دورهما الايجابي في إتمام عملية الانفصال والتفرد، وتحقيق التوازن بين الاتصال والانفصال.

يتفق كل من لابسلي والكيند في الأساس المنطقي بالنسبة لبناء التلفيقات الشخصية إلا أن هناك نزعة أخرى يضيفها لابسلي إلى هذا البناء تتضح في شعور المراهق بكونه شخصاً ذا نفوذ .

يختلف كل من لابسلي والكيند في رؤيتهما للجمهور المتخيل . ففي رؤية لابسلي : يرى المراهق نفسه على أنه في المركز من انتباه الآخرين في المواقف الاجتماعية والعلاقات البينشخصية من خلال أحلام اليقظة. بينما في رؤية الكيند فإن المراهق على الرغم من أنه يتخيل نفسه على أنه في المركز من انتباه واهتمام الآخرين فيما يتعلق بمظهره وسلوكه، غير أنه يعدّ نفسه موضوعاً للتقييم الذي ربما يكون سلبياً أو إيجابياً.

وبعد عرض تفسير الكيند لتمركز المراهق حول ذاته في ضوء نظرية بياجيه، والتطرق إلى العلاقة بين هذين المتغيرين من خلال ما كشفت عنه نتائج الدراسات السابقة، إضافة إلى عرض نظرية لابسلي التي فسرت التمركز حول الذات في ضوء عملية الانفصال والتفرد كأحد المتطلبات الأساسية في تشكيل الهوية. وكذلك الإشارة إلى نظرية فرويد التي استندت إليها أفكار نظرية لابسلي، ونقاط التلاقي بينهما.

تنتقل الباحثة إلى تناول الهوية كأحد المتغيرات التي ارتبطت بمتغيرات الدراسة الحالية (التمركز حول الذات والارتقاء المعرفي) التي سبق أن تناولتها الباحثة في عرضها.

فلا شك أن هنك علاقة ما بين الارتقاء المعرفي وتشكيل الهوية، فطبقاً لبياجيه(١٩٦٧) لا يتم تشكيل الشخصية إلا مع هذه المرحلة التي يبنى فيها التفكير الشكلي، وطبقاً لأريكسون(١٩٦٨) فإن هذه المرحلة الشكلية متممة لمرحلة تشكيل الهوية التي تتطلب البحث عن المعلومات واختبارها وتأملها ومن ثم الاختيار من بينها، والالتزام به.

وحيث أن شكل العلاقة بين الارتقاء المعرفي وتشكيل الهوية واتجاهها لم يتم تحديده بشكل دقيق وحاسم، على اعتبار أن نتائج الدراسات كشفت عن وجود تناقض في النتائج حول العلاقة بين هذين المتغيرين، كما ذكر سابقاً في تحديد مشكلة الدراسة، لذلك كان لابد من الحديث لاحقاً عن مفهوم الهوية وتناول نظرية أريكسون التي تناولت في مراحلها مرحلة تشكيل الهوية من خلال منظور نفسي اجتماعي. وكذلك التطرق في الحديث عن العلاقة بين متغير الهوية والارتقاء المعرفي.

وكذلك سيتم تناول العلاقة بين متغير الهوية والتمركز حول الذات، على اعتبار أن متغير التمركز حول الذات قد ارتبط بتشكيل الهوية طبقاً لتصورات بعض المنظرين،خاصة أن نتائج الدراسات قد كشفت عن تناقض حول شكل واتجاه العلاقة بين هذين المتغيرين،كما تبين سابقاً في تحديد مشكلة الدراسة.

لذلك سيعرض فيما يلي مفهوم الهوية، ونظرية أريكسون التي تناولت تشكيل الهوية من منظور نفسي اجتماعي، كذلك سيتم تناول تطوير مارشيا وصف أريكسون لهوية المراهق وتصنيفه للآخرين ضمن أحد حالات الهوية الأربع(المحققة،المؤجلة، المبتسرة،المشتتة).كما كما سيتم الحديث بشكل أكثر تفصيل عن العلاقة بين متغير الهوية والارتقاء المعرفي في ضوء التراث النفسي، وما أسفرت عنه نتائج الدراسات السابقة، وأيضاً حول متغير الهوية والتمركز حول الذات في ضوء بعض التصورات وما أسفرت عنه نتائج الدراسات السابقة.

ثالثاً- مفهوم الهوية

تمهيد:

تعرض الباحثة فيما يلي مفهوم الهوية، وسوف يتم توضيح هذا المفهوم من خلال تعريف الهوية، والخصائص الأساسية المميزة لعملية البحث عن الهوية، إضافة إلى الدوافع التي ربما تدفع بالفرد للبحث عن إحساس واضح بالهوية، وكذلك مكونات الهوية التي يشترك فيها الأفراد بالرغم من اختلاف هوية كل فرد عن أي فرد آخر، وأخيراً سيتم التطرق الى الأهداف الوظيفية للهوية.

كما سيعرض نظرية أريكسون في النمو النفسي الاجتماعي على اعتبار أن مفهوم الهوية قد احتل مركز الصدارة في أعمال أريكسون، إضافة إلى أن عملية تشكيل الهوية ليس وليد لحظة معينة أو مرحلة معينة، وعلى الرغم من أنها تتضح خلال مرحلة المراهقة إلا أن هذه العملية عملية نمائية مستمرة لها جذورها في مرحلة الرضاعة، وتبدو أيضاً في صراع المراحل الأخيرة من دورة الحياة. فهي بمنزلة المقوم للحلول التي يتخذها الفرد خلال مراحل دورة حياته الإنسانية وبذلك تلعب دوراً رئيسياً في نمو الشخصية.

وبعد عرض مراحل النمو النفسي الاجتماعي لأريكسون ودورها في تشكيل الهوية، سيتم الحديث عن حالات الهوية وهو اتجاه نظري ارتبط بمارشيا الذي وسع وطور نظرية أريكسون فنتج عن ذلك الاتجاه أربع حالات نمائية للهوية، تم التحقق منها من خلال العديد من الدراسات اضافة الى ذكر بعض الخصائص التي تميز الأفراد المصنفين في كل حالة من حالات الهوية من خلال ما كشفت عنه بعض الدراسات حول هذا الموضوع وما كتب عنه في أدبيات البحث النفسي.

كما سيتم التطرق الى منظور فالد (١٩٩٦) Valde الذي يفترض وجود خمس حالات للهوية بدلاً من أربع.

وفي الختام سوف تعرض بعض العوامل التي تلعب دوراً رئيسياً في تشكيل الهوية والتي من ضمنها الارتقاء المعرفي والتمركز حول الذات على اعتبارها المتغيرات الرئيسية في هذه الدراسة.

١- **مفهوم الهوية:** سوف يتم شرح هذا المفهوم من خلال مايلي:

أ- تعريف الهوية:

كثيرا ما نسمع عن مصطلحات مثل الهوية الثقافية والهوية الجماعية والهوية العرقية وهوية الأنا وذلك لأن هذا المفهوم قد شاع استخدامه على نحو واسع وعلى مستويات عديدة

فعلى المستوى الفلسفي تعبرالهوية: عن ضرورة منطقية بعينها تؤكد أن الموجود هو ذاته دوماً لا يلتبس به ما ليس منه فهو عين ذاته.(فرج عبد القادر طه وآخرون،١٩٩٣،٨٣٣،٨٣٤).

وكما وردت في الموسوعة الفلسفية العربية : فإنها تدل على ما به يكون الشيء هو نفسه. ومعنى الهوية في الاصطلاح الفلسفي العربي القديم قد استقر على مابه الشيء هو هو بوصفه وجوداً منفرداً متميزاً عن غيره.(معن زيادة وآخرون،١٩٨٦،٨٢١).

وعلى المستوى النفسي الاجتماعي: فإن الهوية هي المشاعر بأننا نفس الأشخاص الذين كنا بالأمس وفي العام الماضي . وهي الإحساس بالاستمرارية المستمد من أحاسيسنا الجسمية (صورتنا عن أجسامنا والشعور بأن ذكرياتنا وأهدافنا وقيمنا وخبراتنا تخصنا نحن) والإحساس بالفردية والاستقلالية أنني ذاتي الخاصة.(جابر عبد الحميد جابر، علاء الدين كفافي،١٩٩١،١٦٥٩)ج٤. وقد احتل هذا المفهوم مركزاً أساسياً في تصور أريكسون عن تطور الشخصية حيث يذكر أن هوية الأنا هي الثقة المكتسبة بأن التماثل الداخلي والاستمرارية اللذان تم تحضيرهما في الماضي تتسق مع تماثل واستمرارية معنى الشخص بالنسبة للآخرين.(Erikson,1963)

ب- الخصائص الأساسية لعملية البحث عن الهوية:

طبقاً لأريكسون يتميز البحث عن احساس واضح بهوية الأنا ببعض الخصائص هي:

- تستند عملية البحث عن الهوية كعملية نمائية مستمرة إلى ادراك الفرد للتماثل الداخلي والاستمرارية لخبراته الماضية وأدواره المستقبلية. فيحدد الفرد ذاته على أساس من استمرار الماضي المرتبط مع المستقبل. (Hjelle & Ziegler,1992,198) & (Fadiman,J &Frager,R, 1994,202)&(محمد السيد عبد الرحمن،)٢٠٠١،١٥٥

- تلعب الدوافع الشعورية واللاشعورية دوراً رئيساً في البحث عن الإحساس بالهوية الذي يستند إلى الاحساس بالتماثل الداخلي والاستمرارية للخصائص الشخصية الخاصة بالفرد. (Fadiman,J &Frager,R, 1994,201) &(محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،١٥٦).

- تمثل الهوية مفهوماً اجتماعياً لذلك لابد أن يكون الفرد على يقين من أن صورة الذات التي شكلها على أساس من التماثل والاستمرارية مدركة من قبل الاخرين ومتلائمة مع مدركاتهم.(Hjelle & Ziegler,1992,198)

- لابد للأفراد الصغار من أن يكون لديهم ثقة ناشئة من التطابق والتوافق بين الاستمرارية الداخلية والخارجية وذلك من خلال تغذية راجعة مناسبة من خبراتهم الشخصية مع الآخرين.(Hjelle & Ziegler,1992,198)

- يستند نمو الإحساس بالتماثل والاستمرارية عند الفرد جزئياً إلى الاعتقاد بأن التماثل والاستمرارية هو رؤية عالمية مشتركة .

- يتطلب تطور الإحساس بالهوية بعض المتطلبات الاجتماعية والعقلية والبدنية، ويجب ألا يكون هناك تأخير أو إعاقة مفرطة في تحقيق هذه المتطلبات، لأن المراحل المستقبلية من النمو تعتمد على تلبية هذه المتطلبات. وربما تلعب العوامل النفسية دوراً في إطالة الأزمة،وكذلك فإن العوامل الاجتماعية والتغيرات التاريخية ربما تؤخر التزامات وتعهدات الراشد.(Fadiman,J &Frager,R, 1994,201,202)

-الفردية وتعني الإدراك الواعي بالاستقلالية والفردية وتحقيق هوية مستقلة واضحة. (محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،١٥٦).

ت- الدوافع الرئيسية للبحث عن الهوية:

تعد عملية البحث عن الهوية طبقاً لأريكسون، الأزمة التي على المراهق أن يواجهها، ونجاحه في حل هذه الأزمة يتوقف على إجاباته عن مجموعة من الأسئلة.

ويبدو أن هناك ثلاث دوافع رئيسية تدفع بالمراهق لتلك التساؤلات التي يحاول من خلالها أن يحدد من يكون ، وهذه الدوافع هي:

- الرغبة في اكتشاف معلومات دقيقة حول نفسه.
- الرغبة في تأكيد وتعزيز ما يعرفه الفرد عن نفسه مسبقاً.
- الرغبة في سماع الاطراءات والأشياء المملقة حول نفسه. (Derlega &Winstead &jones, 1999,363,369).

ث- مكونات الهوية:

بالرغم من اختلاف هوية كل فرد عن غيره إلا أن هناك ثلاثة نماذج رئيسية من الأشياء التي تتضمنها هوية كل فرد وهي:

١- تتضمن الهوية ذاتك الشخصية: كيف يراك الآخرون، أسلوبك الشخصي،سمعتك.

٢- تتضمن الهوية بعض المفاهيم الاحتمالية: من من الممكن أن تصبح؟

٣- تتضمن الهوية بعض القيم العامة والمبادىء والأولويات properities (Derlega &Winstead &jones, 1999,363).

ج- الأهداف الوظيفية للهوية:

نظراً لأن الهوية تمثل بناء نفسياً اجتماعياً، فإن لها أهدافها الوظيفية الخاصة والتي تتمثل في خمس وظائف هي:

- تزود ببناء يساعد الفرد في فهم أي شخص هو يكون.
- تزود الفرد بالإحساس بالمعنى وتعرفه باتجاهاته من خلال التعهدات والقيم والأهداف.
- تزود بإحساس بضبط الذات وبالارادة الحرة.
- تعمل على أن يبذل الفرد كل جهده من أجل الاتساق والترابط المنطقي والانسجام والتناغم بين القيم والاعتقادات والتعهدات.
- تمكن الفرد من الاهتمام بما هو ممكن من خلال احساس بالمستقبل والاحتمالات والاختيارات البديلة.(Adams,1998,6)

٢- نظرية أريكسون في النمو النفسي الاجتماعي :

هناك العديد من النظريات التي تناولت الشخصية وقد أكد بعضها على مراحل تطور الطفل وتجاهل المراحل المحتملة من تطور الراشد، وكذلك تجاهل أهمية تأثير العامل الاجتماعي على ذلك التطور، كنظرية فرويد، في حين كان هناك نظريات مرحلية أخرى كنظرية إريك إريكسون Erik Erikson التي لم تقتصر على مرحلة معينة انما أكدت على أن التطور يحدث خلال سلسلة من المراحل تتضح طوال دورة الحياة.

وتعتبر نظرية إريك إريكسون Erik Erikson من النظريات الجديرة بالاهتمام باعتبارها:

- تشكل اطارا مرجعياً للنمو طوال العمر، حيث وصفت تطور الشخصية في سياق ثمانية مراحل تتضح خلالها أهم القضايا النفسية في شكل أزمات ثنائية القطب لابد من مواجهتها للتغلب عليها وحلها.(Adams,2000,19) & (Pervin,1993,102)

حيث يذكر أريكسون أن "الشخصية تتطور من خلال خطوات ناجحة من زيادة القدرة على التكيف مع أزمات الحياة.(Erikson ,1968,92) ويعتمد الحل التكيفي على نوعية العلاقات الاجتماعية الداخلية التي تحدث. ومن الوجهة المثالية لا ينبغي للحلول أن تمثل جانباً واحداً بشكل كلي، فمثلاً يعتبر من يتصف بدرجة عالية جداً من روح المبادأة أو العجرفة سيئاً في تكيفه.(Adams,2000,19)

- لم تغفل الأثر القوي الذي يمارسه المجتمع على توقيت وديناميكية كل مرحلة من مراحل نمو الشخصية، رغم تأكيدها على الأساس الغريزي في نمو الشخصية. (Rybash &Roodin &Hoyer,1995,294) &(Pervin,1993,102).

وفي هذا يذكر اريكسون أن " الشخصية الإنسانية تتطور من حيث المبدأ من خلال مراحل محددة مسبقاً من استعداد الشخص النامي لأن يساق نحو محيط اجتماعي يتسع فيه ويعيه ويتفاعل معه.كما أن المجتمع من حيث المبدأ يميل إلى التشكل بطريقة تلبي وتستدعي

ذلك التعاقب من الإمكانات من أجل التفاعل وبذل المحاولات للوقاية وتشجيع المعدل المناسب والتتابع المناسب لتلك الإمكانات"..(Erikson,1963,270)

– اعترافه أو اقراره بأن الناس ينظرون للمستقبل وأيضاً للماضي.وكيفية تفسيرهم لمستقبلهم وماضيهم ربما يكون جزء هام من تكوين شخصيتهم.(Pervin,1993,102)

وبذلك، فإن نظرية أريكسون لم تقصر تطور الشخصية على مرحلة معينة، إنما توضح بأن شخصية الفرد تتطور من خلال مراحل متعددة، يواجه فيها الفرد أزمات حياتية عديدة، ويتفاعل مع المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، ومن ثم تتشكل هويته.

وفيما يلي شرح للمراحل الثمانية التي حددها اريكسون في نظريته ودورها في تشكيل الهوية:

المرحلة الأولى: الإحساس بالثقة مقابل الإحساس بالشك: Trust Versus Mistrust (Infancy)

يرى أريكسون أنه بانفصال المولود عن جسد أمه، يتضح لديه احساساً فطرياً وقدرة على الارتباط بها من خلال فمه ولفت انتباهها على اطعامه والترحيب به، هذا الاحساس الفطري وهذه القدرة على الارتباط تجعلنا ندرك أن الرضيع يعيش ويحب من خلال فمه، وأمه تعيش وتحب من خلال نهديها أو كل أجزاء وجهها وتكون تواقة الى تزويده بحاجاته (Erikson,1968,96,97) وتحدد طبيعة وشكل هذه العلاقة الترابطية بينهما نوعية البنية الأساسية للاحساس بالثقة.(Langer,1998,Internet)

وهذا الاحساس بالثقة كما يراه أريكسون اتجاه نحو الذات والعالم ومطلب أساسي للنشاط العقلي والروحي، وينشأ من خبرات السنوات الأولى للحياة. (Erikson,1968,96)

فشعور الرضيع بالطمأنينة على طعامه وعمق نومه واسترخاء أحشائه وشعوره بالراحة بأن أحدهم سيكون دائماً حوله ليعتني بحاجاته،ينشيء لديه احساس بالثقة، يمكن أن يستدل عليه من درجة رضاه بابتعاد أمه عن نظره بدون قلق أو غضب شديد وذلك لأنها أصبحت يقين في داخله اضافة لقدرته على التنبؤ بوجودها في الخارج. (Erikson,1963,247)&(Rybash &Roodin &Hoyer,1995,295).

ويؤكد أريكسون على أن درجة الاحساس بالثقة تعتمد جوهرياً على كيفية تقديم المساعدة التي يخبرها الطفل، وليس على كمية الطعام وانما اظهار الحب والرعاية الحساسة للحاجات الشخصية له، وعلى خلق احساس قوي لديه بكون أمه جديرة بالثقة والاعتماد ضمن اطار من الثقة لأسلوب حياتهم العامة.(Erikson,1959,63)

فالحياة التي يخبرها الرضيع بما فيها من اتساق واستمرارية يزوده باحساس أولي ضمني بهوية الأنا يعتمد على ادراك الفرد بأن هناك مجموعة داخلية من المشاعر المتذكرة

والمتوقعة والمتخيلة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجموع الخارجي لأشياء وأفراد مألوفين، وهذه الموضوعات هي العنصر الأساسي عند الطفل للشعور بالهوية والذي سيضم فيما بعد إحساسه بكونه هو نفسه، وبأنه في حالة جيدة وبأنه سيصبح محل ثقة الآخرين. (Erikson,1963,247,249).

ويلخص أريكسون بالمقولة التالية :"أنا أكون ما آمل الحصول عليه I'am what I am give?" طبيعة الدور الذي تلعبه هذه المرحلة العمرية (بما تحمله من متطلبات تبدو في اعتمادية الطفل على المعتني للايفاء بحاجاته ضمن اطار نوعي من العلاقة التكافلية بينهما في اكتساب الهوية وتحديد الذات.(Erikson,1968,106,107)

وهذا يعني أن تطوير مشاعر الاحساس بالأمن والثقة بالبيئة والامل بالمستقبل يعتمد بالدرجة الأولى على قوة الرباط العاطفي والعلاقة التكافلية المتسقة والدافئة التي تنشأ بين الوليد وأمه، وعلى الموقف الواع للأم (المعتني) في الايفاء بحاجات الطفل بدفء وبانتظام وبوجدان وبعاطفة. وبالمقابل فإن ضعف العلاقة التكافلية وفشل الأم (المعتني) في تزويد الرضيع بحاجاته، سينشأ عنه مشاعر عدم الاحساس بالثقة والخوف من المستقبل، وربما الاعتمادية أو صعوبة اقامة علاقات من التعاطف مع الاخرين. (Langer,1998,Internet) & ((Rybash &Roodin & Hoyer,1995,295) & (Birch,1997,218).

المرحلة الثانية: الاستقلال مقابل الشك والخجل : Autonomy Versus Doubt And Shame (Early Childhood)

وتكمن أزمة الحياة في هذه المرحلة في بحث الطفل عن الاستقلال عن الوالدين ولتحقيق ذلك لا بد من أن يتيقن الطفل أن ثقته بنفسه وبالعالم التي من المفترض أنها تأسست في المرحلة المبكرة لن تتعرض للخطر والشك مع تقدمه بالعمر بسبب رغبته القوية في أن يكون له خيارات تنطوي على متطلبات معينة، لذلك فإن نمو الشعور بالاستقلالية على نحو متناسب مع متطلبات المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل تستند إلى نوع ودرجة الاحساس بالاستقلالية التي يمنحها الوالدين لأطفالهما والتي هي انعكاس للوقار والاحساس بالاستقلال الذي حصلوا عليه في حياتهم باعتبارهم كائنات مستقلة. &.(Erikson,1968,113) (Erikson,1963,254).

ويتميز احساس الطفل بالاستقلالية بزيادة وعيه بذاته من خلال التعبير الحركي والمهارات اللغوية وضبط الوظائف الجسدية حيث يعمل النضج العضلي على تجريب شكلين متزامنين من النماذج الاجتماعية وهما المسك والترك. ويؤدي صراع هذين الشكلين في النهاية الى اتجاهات اما عدائية أو حميدة. ويتوقف اتجاه الصراع على أسلوب الوالدين في تدريب الطفل على ضبط المثانة والأمعاء للتخلص من الغائط ليتوافق مع أساليب القبول

الاجتماعي، فإن كان تدريبهما يجمع بين الحزم والتسامح فإن الطفل سوف يطور اتجاهاً صحياً من ضبط الذات ليس فقط المثانة والأمعاء، وإن كان تدريبهما مبكرا وصارما فإن الطفل سوف يطور اتجاهاً غير صحياً من الشك والخجل. (Erikson,1963,251,254)&(Rybash &Roodin &Hoyer,1995,296) &(Kroger,1996,22,23).

ويعد الإحساس بضبط الذات بدون فقدان تقدير الذات مصدراً لارتقاء الفرد من حيث احساسه بالارادة الحرة وبالفخر والشعور بالود نحو الآخرين. بينما يؤدي الاحساس بفقد ضبط الذات،والمغالاة في أساليب التربية الوالدية سواء كانت سيطرة أبوية او حماية زائدة أو الرفض وعدم القبول الى اعاقة جهود الطفل في الحصول على الاستقلالية والى النزوع الدائم نحو الشك والخجل. (Erikson,1968,109,110)&(Erikson,1963,251,254)

وبالتالي فإن الانجاز الايجابي في هذه المرحلة يتضح في الاحساس بالاستقلالية وتقدير الذات. بينما يتضح الانجاز السلبي في مشاعر الخجل والشك حول قدرات الفرد الخاصة في ضبط الذات.(Birch,1997,218)

ويبدو أن الشعور بالاستقلالية الذي يميز المرحلة الثانية من مراحل النمو النفسي الاجتماعي يلعب دوراً رئيسياً في نمو الشخصية وبشكل خاص في تنمية الاحساس بالهوية.

فطبقاً لأريكسون تترك المرحلة الأولى الثقة مقابل عدم الثقة أثرا في نمو الكائن على كثير من المستويات الهرمية خاصة في نطاق احساس الفرد بالهوية ،وذلك الأثر سيردد شيئا من قناعة تقول أنا أكون ما آمل الحصول عليه وأعطيه. كما يرى أن الأثر المتبقي المشابه لمرحلة الاستقلال يقول أنا أكون ما استطيع أن أريده بحرية. I'am what I can will freely. (Erikson,1968,109,114)

المرحلة الثالثة: الاحساس بالمبادأة مقابل الاحساس بالذنب: Initiative Versus Guilt (Preschool Age)

طبقاً لأريكسون تتميز هذه المرحلة باكتساب مهارات نمائية جديدة تدعم هذه المرحلة وتعمل أيضاً على اثارة أزمتها ، تتضح هذه المهارت في تعلم الطفل التجوال بمزيد من الحرية والعنف مما يجعله يؤسس لنفسه مجالاً لأهداف غير محدودة وأكثر اتساعاً.

كما يصبح احساسه باللغة أكثر اكتمالاً إلى الدرجة التي تجعله يتفهم ويسأل باستمرار عن أشياء لا حصر لها.

ويبدو أن هذه المهارات تسمح له بتوسيع خياله إلى العديد من الأدوار مما يترتب عليه عليه ترسيخ الاحساس بالمبادأة كأساس للاحساس الحقيقي بالطموح والهدف. (Erikson,1968, ,115)

وتحدد المبادأة الاتجاه نحو الممكن والحقيقي والمادي الملموس والذي يسمح لأحلام الطفولة المبكرة لأن تكون متصلة متعاقبة ومرتبطة بنشاط وأهداف الحياة الاجتماعية للكبار. كما تعتبر جزء ضروري من جميع الأنشطة، والانسان يحتاج إلى احساس بالمبادأة لأي شيء يتعلمه ويفعله.حيث تضيف المبادأة الى الاستقلال القدرة من أجل أن يكون الفرد نشطاً ومتحركاً لتولي وتخطيط وتنفيذ المهمات.(Erikson,1963,255,258)

ولكي نساعد الطفل على تكوين الإحساس بالمبادأة فإننا يجب أن نتيح له فرصة ومجالاً للنشاط والحركة، وأن نشجعه حين يقوم بأعماله، وحين يستخدم خياله في اللعب أو في الحديث، وأن نقلل من عتابه بقدر الامكان.(علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٩٦).

ويتكون الاحساس بالذنب حين يدرك الأطفال أن خططهم وآمالهم وأهدافهم فيما يتعلق بالجنس قد فشلت، ويعيشون صراع عقدة أوديب أو الكترا، ويعانون من وجود مشاعر متناوبة من الحب والكراهية للوالد من الجنس المعاكس ويتكون لديهم خوف من انجاز التخيلات الجنسية التي تسيطر في هذه المرحلة. (محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،١٨٤).

(Rybash &Roodin &Hoyer,1995,297)&

حيث يذكر أريكسون: يكمن خطر هذه المرحلة في الشعور بالذنب بشأن الأهداف المأمولة والأفعال التي تظهر نتيجة القوة الحركية والعقلية الجديدة، و التي سرعان ما تتعدى العقل وكذلك قدرة الشخص على تنفيذها،لذلك تستدعي توقفاً نشطاً للمبادأة المأمولة للفرد. حيث يستيقظ احساس عميق بالذنب وهو احساس غريب لأنه يبدو باستمرار منطوياً على أن الفرد مرتكب لجرائم والتي لم تقع فقط بل انها تعد مستحيلة من الوجهة البيولوجية. (Erikson,1963,255,258)

فالاسهام الأساسي في هذه المرحلة يعتمد على اطلاق وتحرير مبادأة الطفل وجعلها موجهة نحو هدف وربطها بأهداف الكبار، وذلك يتم ضمن قناعة ثابتة ومتطورة على نحو تدريجي تقول "أنا أكون ما أستطيع تخيله عما أصير". ومع ذلك يتضح بشكل متساوي وجود احباط شامل من تلك القناعة بفعل التناقض بين مثاليات طفولية وواقعية مراهق مما يؤدي فقط الى ظهور دورة الاحساس بالذنب والعنف المميزة بوضوح للانسان والشديدة الخطورة على وجوده.(Erikson,1968,122)

ويكمن الانجاز الايجابي في القدرة على البدء بنشاطات والاستمتاع بما ينتج عنها. أما الانجاز السلبي فيتجلى في الخوف من العقاب والاحساس بالذنب حول مشاعره الخاصة. (Birch,1997,218).

المرحلة الرابعة: الانتاجية مقابل الشعور بالنقص: Industry Versus Inferiority. (School Age).

تمثل هذه المرحلة سنوات الطفولة المتوسطة حيث ينهمك الطفل في امتصاص المعرفة وتطوير المهارات الفيزيائية. فإذا رأى الأطفال أنفسهم كمؤهلين أو متمكنين بشكل أساسي من هذه النشاطات، فإن النتيجة ستكون الشعور بالانتاجية . ومن ناحية أخرى إذا رأى الأطفال أنفسهم غير مؤهلين وبشكل خاص بالمقارنة مع أقرانهم،فإنهم سيشعرون بعدم الانتاجية وبالنقص. (Rybash &Roodin &Hoyer,1995,297)

حيث يذكر أريكسسون: " أن الطفل ومع اقتراب فترة الكمون ينكب على هوايات معينة وأهداف مستحسنة ويتعلم كسب الاعتراف بانتاج الأشياء.(Erikson,1968, ,123) ويكتسب الاتقان في عمله، ويصبح مستعدا لتكييف نفسه لمهارات ومهام معينة تتعدى مجرد التعبير المرح لأحوال أعضائه أو البهجة في استخدام أطرافه ويتنامى لديه شعور بالابتكار والصنع(Erikson,1963, ,259) فيطور الإنتاجية ويكيف نفسه مع القوانين المادية. (Erikson,1968, ,123) .

وتتشكل خطورة هذه المرحلة في نفور الطفل من نفسه ومن مهامه أو ما يعرف باسم الإحساس بالنقص، والذي قد يسببه حل غير كاف للصراعات السابقة فقد يظل الطفل مشغوفاً بأمه أكثر من المعرفة، أو يظل مفضلاً أن يكون طفلاً في البيت أكثر من أن يكون الصبي الكبير في المدرسة، ولا يزال يقارن نفسه بأبيه وقد تزيد تلك المقارنة من إحساسه بالذنب والنقص، وربما أخفقت الحياة المدرسية في دعم الوعود الخاصة بمراحل سابقة، فلا يوجد حتى الآن شيء تعلم الطفل أن يؤديه جيداً وفقاً لرؤية رفاقه ومدرسيه . (Erikson,1963, ,260) (Erikson,1968, ,124)

وهناك خطر آخر يواجه نمو الهوية في هذه المرحلة، يتجلى في أن الطفل المفرط في توافقه يقبل العمل باعتباره المعيار الوحيد للجدارة ويضحي بالخيال والهزل بسهولة كبيرة، ويكون مستعداً لتقديم ما أطلق عليه ماركس "عته الحرفة" بمعنى أنه يصبح عبداً للتكنولوجيا ولدورها المهيمن في نموذج الشخصية، وعندها نكون بالفعل وسط مشكلات الهوية، فالانسان لا يمثل فقط الحيوان المتعلم إنما يمثل أيضاً الحيوان المعلم وفوق كل ذلك الحيوان العامل، لذلك فإن إسهام المرحلة المدرسية المباشر في بناء الإحساس بالهوية يمكن أن تعبر عنه الكلمات التالية "أنا أكون ما أستطيع تعلمه لأصنع عملاً.(Erikson,1968, ,124)

فأزمة هذه المرحلة تتمثل في اكتساب الطفل معرفة ذات أهمية ومهارات مرتبطة بثقافته. ويظهر الإنجاز الايجابي في الإحساس بالكفاءة والإنجاز والثقة بقدراته الخاصة بعمل أشياء وصنعها. أما السلبي فيتجلى في ردود فعل غير مناسبة من الآخرين ربما تسبب الشعور بالنقص. (Birch,1997,219)

المرحلة الخامسة :الهوية مقابل التشتت Identity and Diffusion (Adolescence)

يرى أريكسون أن المهمة الرئيسية التي على المراهق أن يواجهها مع الانتقال إلى مرحلة المراهقة هي تأسيس وتطوير الإحساس بهوية الأنا، وذلك من خلال قدرته واهتمامه المتزايد في الإجابة على العديد من التساؤلات لتكون الأساس في تشكيل هويته الخاصة. (Langer,1998,Intrnet).

وخلال بحثه عن هذه الإجابات التي تتعلق بمن يكون ومادوره وما إلى ذلك من تساؤلات يميل المراهق إلى التشكيك في كل التماثلات والاستمرارية التي اعتمد عليها سابقاً، ويضطر إلى البحث عن إحساس جديد بالاستمرارية والتماثل بين الماضي والحاضر (وما يشمله من نضج جنسي)والمستقبل.(Erikson,1959)

ويبدو أن هذا البحث الجديد عن الإحساس بالاستمرارية والتماثل بين الماضي والحاضر والمستقبل يتطلب من المراهق استيعاب أزمات السنوات السابقة التي مر بها، وربما يفرض عليه أن يعيش بعض أشكال الصراع مع الكبارلرفضه تمثل أفكارهم وقيمهم، لتكون أساساً لتشكيل هويته من غير تفحص وتفكير.(Erikson,1959) &(Erikson,1963,261)

حيث يذكر أريكسون أن المراهقين يحتاجون وقفة لتعليق النشاط من أجل دمج عناصر الهوية المنسوبة في السابق لمراحل الطفولة، وإعادة النظر بمجموعة القيم والأهداف الخاصة بوالديهم وثقافتهم على اعتبار أنهم يمتلكون من بداية حياتهم بذرة مختلفة لهوية منفصلة وغالباً ما يضطرون للدفاع عنها ضد فكرة أن يكونوا نسخة من أحد الوالدين .(Erikson,1959) ومن ثم يقبلون بعضها ويرفضون البعض الآخر ليؤسسوا ذهنياً هويتهم الخاصة.(Erikson,1968)

فهوية الأنا أكثر من مجموع تماثلات مرحلة الطفولة، وهي عملية معقدة تنشأ عن الخبرة المتراكمة لقدرة الأنا على تكامل أو ادماج كل التماثلات مع التحولات الليبيدية والاستعدادات والقابليات المطورة من المواهب الطبيعية والفرص المتوافرة من الأدوار الاجتماعية. (Erikson,1963,261)

وهذا يعني أن عملية تشكيل الهوية ليس وليد مرحلة معينة إنما هي عملية تراكمية مستمرة من الخبرات التي يمر بها الفرد، تتمايز خلال هذه المرحلة نتيجة القدرة المتزايدة على التفكير والتفحص إضافة الى توافر الفرص المختلفة للمراهق لتجريب العديد من الأدوار.

فمن خلال هذا التجريب المتنوع للأدوار المختلفة مما هو متاح في المجتمع يكون لدى المراهق فرصة للاستكشاف واكتساب الخبرة دون أي التزام أو تعهد، فتنشأ لديه تدريجيا المواقف الثابتة والقيم واختيار الوظيفة والشريك وأسلوب الحياة، ومن ثم يتشكل إحساس

المراهق بذاته وبالآخرين حوله، وتنمو هويته وتصبح قويـــة ومتماســكة.(Erikson,1959) &(Birch,1997,205)

ويؤكد أريكسون أهمية تجريب الأدوار المختلفة في حياة الانسان حيث يذكر: إنه حين يشعر الطفل أن البيئة المحيطة تحاول أن تجرده من كل أشكال التعبير التي تسمح له أن يطور ويكمل الخطوة التالية في هوية الأنا فتمنعه من تجريب أدوار مختلفة فإنه سيقاوم بقوة مدهشة تشبه مقاومة الحيوانات الذين يضطرون فجأة للدفاع عن حياتهم.وبالطبع لا يوجـــد إحساس بالحيـــاة دون إحســـاس بهويـــة الأنـــا فـــي الغابـــة الاجتماعيـــة للوجـــود الانســـاني. (Erikson,1968,130).

وهذا ما يبرر مشكلات المراهقين الذين لا يستطيعوا أن يكونوا أولاداً طيبين فيبحثون بشدة عن حس انتمائي مرضي في شلل أو عصابات أو في حركات جماعية في بلاد أخرى. (Erikson,1959)

ويبدو أن أهم المشكلات والتحديات التي يعيشها المراهق والتي تتطلب منه مواجهتها وإنجازها كمطالب أساسية لتحديد هويته والإجابة على التساؤلات الملحة المرتبطة بها تـدور حول اختيار الشريك، والاختيار المهني، والدور الجنسي والالتزام الديني والقيمي والسياسي. (Berger,2001,435)& (Brich,1997,205)

فعلى المستوى العاطفي يعد أريكسون أن الوقوع في الحب في تلك المرحلـــة لـــيس مسألة جنسية، فحب المراهق ما هو إلا محاولة للوصول لتحديد هويته بإسقاط الصورة الذاتية self-image المنتشرة للفرد على ذات أخرى وكأنها مرآة عاكسة يرى ذاته مـــن خلالهـــا بحيث تتضح هذه الرؤية تدريجياً، ولهذا السبب يعـد معظـم حـب الشـباب محـاورات. (Erikson,1968,132).

وكذلك يلعب الاختيار المهني دوراً كبيراً في تحديد هويتنا حيث تتيح لنا معرفة مهنة الفرد معرفة خلفيته الثقافيـــة وخبراتـــه اليوميـــة وقيمـــه وأذواقـــه واهتماماتـــه.(روبـــرت واطسون،هنري كلاي ليند جرين،٢٠٠٤،٦٢٩)

فاختيار المراهق للمهنة يتعدى مسألة المكافأة إلى الرضا وتحقيـق الـذات، فـبعض المراهقين يفضلون ألا يعملوا على الإطلاق لفترة بدلاً من أن يتم دفعهم داخل مهنـــة تقـــدم النجاح من دون الرضا عن العمل.(Erikson,1968,129).

ولابد من الاشارة الى ضرورة الاستقرار على هوية مهنية معينة لأن عـــدم القـــدرة على ذلك يمزق الشباب ويصيبهم بالقلق والاضطراب والعجز وعدم التوافق ويدفع بهم حفاظا على تماسكهم الذاتي إلى المبالغة في التوحد بأبطال الشلل وأبطال الجماهير. وهو أحد أخطار هذه المرحلة حيث يقود إلى الفقدان الكامل لوضوح الهوية. وقد يجعلهم ذلـك التوحـد أكثـر

تعصب وقسوة في إبعادهم للأفراد المختلفين في لون البشرة أو الخلفية الثقافية أو الأذواق والمواهب وغالباً في أوجه بسيطة من طريقة ارتداء الملابس التي تبين إن كان الشخص من ضمن المجموعة أو خارجها.وهذا التعصب هو دفاع ضروري ضد الإحساس بتشتت الهوية. (Erikson,1968,132) & (Erikson,1963,262).

كما يشكل اضطراب الأدوار الذي يستند إلى شك قوي سابق بالهوية الجنسية خطراً آخر في هذه المرحلة على اعتبار أن تحقيق الهوية الجنسية من المطالب النمائية التي تواجه المراهق، وهذا المطلب لا بد من تحقيقه وقبوله في السنوات الأولى من الطفولة، فعدم القدرة على تحقيقه وقبوله يؤدي إلى انتشار حالات الجناح، وبعض الذهانات عند المراهقين. (Erikson,1963,262).

ويتوقف نجاح المراهق في حل أزمة الهوية على ما يقوم به من استكشاف للبدائل والخيارات، وعلى ما يحققه من التزام أو تعهد بالقيم والمعايير السائدة في مجتمعه في كل من المجالات الاجتماعية والايديولوجية. (محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،١٨٩).

فالمواقف الثابتة وتبني القيم السياسية والدينية والجنسية واختيار الوظيفة والشريك وأسلوب الحياة بشكل يحافظ فيه المراهق على التماثل والاستمرارية للاعتقادات المكتسبة في الماضي مع توقعات الحاضر والمستقبل يعني أن الفرد يتجه إلى القطب الموجب من أزمة الهوية وهو ما يعرف بإنجاز الهوية حيث يتشكل الإحساس بالذات وبالآخرين حوله فتتضح هويته ويعرف نفسه بوضوح ودوره في المجتمع. على حين عدم النجاح في حل أزمة الهوية يعني أن الفرد يتجه نحو القطب السالب من أزمة الهوية وهو ما يعرف بانتشار الدور حيث يعاني الفرد من عدم وضوح هويته وعدم تحديده لذاته، فلا يعرف من يكون وماذا سيكون؟(محمد السيد عبد الرحمن،٢٠٠١،١٨٩) & (Brich,1997,205) &(Berger,2001,435)

المرحلة السادسة :الاحساس بالألفة مقابل العزلة: Intimacy Versus Isolation (Young Adulthood)

وفيها يكون المراهق الخارج من البحث عن الهوية والإصرار عليها متحمساً وراغباً في صهر هويته مع هوية الآخرين ، ويكون مستعداً لإقامة علاقات حميمية أي القدرة على الالتزام بزمالات ومشاركات ملموسة، وعلى تطوير القوة الأخلاقية لاحترام هذه الالتزامات حتى لو تطلبت تضحيات وحلولاً وسط ذات معنى.(Erikson,1963,263)

حيث يكون بإمكان المراهق الذي شكل هويته تنمية الشعور بالود والتآلف مع الآخرين بل مع نفسه، ويتبلور الإحساس بالتآلف في الطور الأخير من مرحلة المراهقة ، ويرغب المراهق لذلك في إنشاء علاقات مع أفراد الجنس الآخر، وقد تنتهي هذه العلاقات

بالزواج.(علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٩٨). على حين الشاب غير المتأكد من هويته ينعزل بعيدا عن العلاقات البينشخصية الحميمية أو يلقي نفسه في أفعال حميمية مشوشة من دون اندماج أو صهر حقيقي أو انغماس حقيقي للذات. فهو بسبب خوفه من فقدان الأنا في مواقف تستدعي التخلي عنها،تجاهل الذات self abandon نراه يتجنب خبرات مثل الاتحاد الجنسي والصداقات الحميمية وغيرها فلا يقيم علاقات ود مع الآخرين ومع نفسه حتى في مرحلة المراهقة المتأخرة أوالرشد المبكر وربما يستقر على علاقات بينشخصية نمطية ، ومثل هذا التجنب ومثل تلك العلاقات تؤدي به إلى شعور عميق بالعزلة والاستغراق بالذات self absorption (Erikson,1968,135,136) وهو ما يشكل خطورة هذه المرحلة، فتلاقي الاتصالات التي تلزم بالحميمية اضطراب يمكن أن يؤدي إلى مشكلات شخصية شديدة. ومن ناحية أخرى فقد يكون هناك علاقات تشاركيه تصل إلى حد العزلة المزدوجة بحماية كلا الشريكين من حتمية مواجهة التطور الحرج التالي أي الانتاجية(التوالد).(.(Erikson,1963,266)

وفي سياق تشكيلات أنا أكون بالنسبة لمرحلة ما وراء الهوية فإن الإضافة للهوية تستند إلى الصيغة التي تقول نحن نكون ما نحب. We are what we love? (Erikson,1968,138)

وفي الأغلب يتضمن مثل هذا النمو في هذه المرحلة توازناً معقداًمن الحميمية والالتزام في العلاقات من ناحية ومن الاستقلالية والحرية من ناحية أخرى. (Rybash &Roodin &Hoyer,1995,297,298).

وعليه فإن الإنجاز الايجابي لهذه المرحلة يتضح في المقدرة على أن يخبر الفرد الحب والالتزام بالآخرين. أما السلبي فيكمن في العزلة و العلاقات السطحية مع الآخرين. (Brich,1997,219)

المرحلة السابعة: الإنتاجية مقابل استغراق الذات: Generativity Versus Stagnation (Middle Adulthood)

يرى أريكسون أن التوالد(الإنتاجية) هي الاهتمام بتأسيس وإرشاد الجيل التالي، إلا أن هناك أفراد بسبب سوء الحظ أو بسبب مواهب خاصة وحقيقية في اتجاهات أخرى لايعملون وفق هذا الدافع مع أطفالهم إنما يعملون وفق أنماط أخرى للاهتمام بمحبة الغير وبالإبداعية والتي ربما تحتوي دوافعهم الأبوية.(Erikson,1968,138)

فمثلا قد يظهر التوالد كرغبة في مساعدة الأطفال والمراهقين على إطلاق إمكاناتهم الإنسانية.وربما يعبر عن الحاجة ليصبح عضواً معتنياً ومنتجاً للذرية الخاصة به.

وقد تحدث بعض الوظائف مثل التعليم،والعمل الاجتماعي والتمريض توالد لأن لهـا معنـى بالنسبة لهم أو للمجتمع.(Rybash &Roodin &Hoyer,1995,298)

وعلى الرغم من أن مفهوم التوالد يشمل مترادفات مثل الإنتاجية والإبداعية إلا أن أياً منهما لا يمكن أن يقوم مقام التوالد كخاصية مميزة لمرحلة التطور. فقابلية ذوبان المرء فـي لقاء الأجساد والعقول يؤدي إلى توسع في اهتمامات الأنا وإلى توظيف الدافع الجنسي لـذلك الشيء الذي يجري إنتاجه.(Erikson,1968,138) لذلك فإن مجرد حقيقة امتلاك أطفـال أو الرغبة فيهم لا تحقق التوالد، وفي الحقيقة فإن بعض الآباء الشبان يعانون من التأخر في القدرة على النمو إلى هذه المرحلة وغالباً ما تكون الأسباب موجودة في الانعكاسات الأولية للمراحل الطفولية الأولى، وفي حب الذات الزائد عن الحد المرتكز على الشخصـية العصـامية self-made.(Erikson,1963,267).

فالتوالد مرحلـة ضـرورية علـى الجـدول النفسـي الاجتمـاعي والنفسجنسـي psychosexual وحين يفشل هذا الإغناء بالكامل يحدث نكوص إلى الحاجـة الوسواسـية للحميمية الزائفة، مع شعور منتشر باستغراق الذات ومع ضجر وافتقار شخصـي. فيـنغمس الأفراد في أنفسهم كما لو كانوا أطفال أنفسهم وعندما تسمح الظروف فإن الاعتلال الجسـدي المزمن والانغماس النفسي يصبح وسيلة للاهتمام بالذات.(Erikson,1968)

لذلك فإن الانجاز الايجابي في هذه المرحلة يتضح في قدرة الفرد على أن يهتم ويعتني بالآخرين بأحاسيس أشمل. أما الإنجاز السلبي فيكمن في الافتقار للنمو والسـأم والانغمـاس بالذات. (Brich,1997,219)

المرحلة الثامنة:التكامل مقابل اليأس Integrity Versus Despair(Maturity)

في هذه الفترة من الحياة يواجه الأفراد حالات الموت الخاصة بهم. فإذا كان الشخص الكبير قد طور نظرة ايجابية لكل الفترات السابقة من الصراع العاطفي وكانت هذه النظرة الايجابية شاملة للقرارات التي اتخذها بشأن حل هذه الصراعات، فإن استعادة لمحة من حياته الماضية التي قضاها سيكشف له عن حياة مضت بشكل جيد وذي معنى وحينها سيكون الفرد راضياً، وهذا هو ما يقصده أريكسون بتكامل الأنا (Rybash &Roodin &Hoyer,1995,299).

حيث يذكر أن هناك شيخوخة ذات معنى، تعتمد على الميراث المتكامل الذي يقدم منظوراً ضرورياً عن دورة الحياة. والقوة هنا تتخذ شكل ذلك الاهتمام المستقل والنشط بالحياة التي يحددها أو يحاصرها الموت الذي نسميه الحكمة والتي فيها الكثير من المعاني الضمنية من عقول ناضجة إلى التراكم المعرفي واتخاذ القرار أو الحكم الناضج والفهم والإدراك الشامل.(Erikson 1968,140)

كما تخيل أريكسون فترة الحياة في شكل دائري، وظن أن الأفراد الذين بدؤوا الحيـاة للتو(أطفال وصبيان صغار) قد يتأثرون بشكل عميق بأشخاص على وشك أن يرحلـوا عـن الحياة (أي الكهول)..(Rybash &Roodin &Hoyer,1995,300)

حيث يذكر أريكسون:"يبدو من الممكن إعادة صياغة علاقة تكامل الراشد والثقة الطفولية بالقول إن الأطفال الأصحاء سوف لن يخافوا الحياة إذا كان الكبار الذين معهم لديهم ما يكفي من تكامل لكي لا يخافوا الموت". .(Erikson 1963,269)

ومن جهة اخرى قد يحل الفرد واحدة، أو أكثر من الأزمات والصراعات التي واجهها خلال حياته بطريقة سلبية أو يكون غير قادر على أن يمارس السيطرة على القرارات الحياتية، حينها ستمنحه استعادة الماضي الكآبة والشك لمعنى حياته واليأس. (Rybash &Roodin &Hoyer,1995,299).

حيث يذكر أريكسون أن اليأس يعبرعن الشعور بقصر الوقت وهو قصير جداً لمحاولة بدء حياة جديدة ولمحاولة تجريب وسائل متعاقبة للتكامل، وذلك اليأس غالباً ما يختفي خلـف مظهر من الاشمئزاز وكراهية البشر أو الاستياء المزري والمزمن نحو مؤسسات معينـة أو أشخاص معينين وهو اشمئزاز واستياء يدل فقط على احتقار الفرد لذاته عنـدما لا يتحـد أو يتحالف مع رؤية سامية للحياة.(Erikson 1968,140)

كما يذكر أريكسون أنه مهما كانت الاهتمامات النهائية فإن الانسان باعتبـاره كائنـاً يحمل صفات نفسية اجتماعية سيواجه وحتى نهاية حياته صورة جديدة لأزمة الهوية والتـي يمكن أن نحددها في العبارة التالية: أنا أكون ما بقي حياً مني. Iam what survives me? (Erikson 1968,140)

فالإنجاز الايجابي في هذه المرحلة هو الإحساس بالرضا عن حياته وما أنجزه خلالها وتقبل الموت. أما السلبي فيكمن في الندم على إغفال وافتقاد الفرص، والخوف من الموت. (Brich,1997,219)

اذن يركز أريكسون من خلال نظريته على مرور الفرد خلال مراحل حياته بدءاً من الولادة وحتى نهاية العمر بعدد من الأزمات التي تميز كل مرحلة من مراحل حياته، ويـرى كل أزمة على أنها محصلة للتغيرات النمائية التي يبلغها الفرد وللتفاعل مع العالم الاجتمـاعي الذي يقتصر على الأم في المرحلة الأولى، ومن ثم يتعداها إلى الأب والأسرة والعالم الأكبر.

وتكون مهمة الفرد في كل مرحلة مواجهة هذه الأزمة والعمل على حلها. ويلعب أسلوب الفرد في مواجهة وحل الأزمة دوراً كبيراً في النجاح في حل الأزمات النمائية المرتبطة بالمراحل التالية.

ويبدو أن محور نظرية أريكسون يرتكز على تشكيل الهوية، فعلى الرغم من ارتباط هذا المفهوم أو هذه الأزمة بمرحلة المراهقة، إلا أن المراحل السابقة لها أو بمعنى أصح الأزمات المرتبطة بالمراحل السابقة لها تعد بمنزلة متطلبات أساسية في عملية تشكيل الهوية، فلا هوية من دون ثقة بالذات وبالعالم. تلك الثقة التي تنشأ من نوعية العلاقة التكافلية بين الفرد والمعتني والذي غالباً هو الأم.

كما أنه لا هوية من غير الشعور بالاستقلالية بجميع جوانبها ، سواء أكانت في الجسد أمالحركة أم التعبير، أو في كل ما يستطيع الطفل أداءه في تلك المرحلة.

وعلى اعتبار ان الهوية مفهوم نفسي اجتماعي،وإضافة إلى أنها عملية نشطة ومعقدة فإنها تتطلب من الفرد المقدرة على البدء بالكثير من الأنشطة والأعمال والاستمتاع بما ينتج عنها، كما تتطلب منه الاستزادة المعرفية والثقة بالقدرة على الإنجاز والعمل، وثقة الآخرين بذلك.

لذلك فإن نجاح الفرد في تحقيق هذه المتطلبات يعد بمنزلة الخطوة الأولية وغير المباشرة في عملية تشكيل الهوية ، وربما يعوق إخفاقه في تحقيقها معرفة ذاته وتحديد هويته.

ومع بلوغ مرحلة المراهقة تأتي الخطوة المباشرة والحاسمة في تحديد وتشكيل هوية الفرد،حيث تثير التغيرات الكمية والكيفية على المستوى الجسدي والمعرفي لدى الفرد العديد من التساؤلات وتحسه على التفحص والتفكير والبحث والاختيار من بين البدائل ماهو مناسب للوصول إلى حالة من الالتزام والتعهد في الموضوعات التي تشغله، فيحدد ذاته وموقعه وانتماءه ودوره.

وإن إخفاق الفرد في الوصول إلى هذه الحالة يعني إخفاقه في مواجهة أزمة الهوية ، الأمر الذي يقوده نحو انتشار أو تميع الدور فيعاني من عدم وضوح هويته وعدم تحديده لذاته فلا يعرف من يكون وماذا سيكون، وماذا يريد.

وتأتي الخطوة التالية من عملية تشكيل الهوية بمنزلة الممارسة العملية لما تم تحقيقه في المراحل السابقة، فالشعور بالود والتآلف مع الآخرين ومع الذات، وكذلك الرغبة والقدرة على الاعتناء بالآخرين والسعي لذلك ما هو إلا نتيجة منطقية وممارسة عملية لتحديد الهوية ووضوح الدور.

وغالباً ما تأتي المرحلة الأخيرة كتتويج لكل ماسبق، حيث يعمل الفرد كقاض وجلاد،فيحاكم نفسه على كل ما مر به ويقيم قرارته وحلوله للأزمات التي واجهها خلال مسيرة حياته ، فإما أن يشعر بالرضا عنها ويكون الشعور بالتكامل بمنزلة التاج الذي يكافىء نفسه به، وإما أن يشعر بالأسف والكآبة والشك لمعنى حياته فيحكم على نفسه بالشعور باليأس والخوف من الموت المنتظر.

٣- حالات الهوية:

طور مارشيا وصف أريكسون لهوية المراهق فلم يكتف بمتغير الالتزام كمعيار وحيد لهوية الأنا حيث يرى أن الفرد ربما يصبح بروتستنتينياً، مزارع مثل والده مع تفكير قليل بالمسألة أو من دون تفكير، ومن ثم لا يمكن هنا أن يقال إنه قد حقق هويته. فعلى الرغم من التزامه إلا أن تكامل الأنا الذي تحدث عنه إريكسون لا يمكن أن يحدث.وبناء على ذلك استند مارشيا إلى معيارين في تصنيف الناس وتحديد حالة الهوية.

هذان المعياران هما:

١- وجود أو غياب أزمة: وتشير الأزمة إلى فترة خلال المراهقة، يبدو فيها الفرد نشيطاً ومنهمكاً فيما يتعلق بالاختيارات بين البدائل المهنية والاعتقادات.

٢-درجة التعهد والالتزام المهنية والايديولوجية (الدين والسياسة): حيث يشير الالتزام إلى درجة الاستثمار الشخصي التي يعبر عنها الفرد في المهنة والاعتقاد. (Marcia,1967,119).

ومن خلال هذين المعيارين يصنف مارشيا(١٩٦٧) الأفراد في أحد حالات الهوية الأربع من الأقل نماء إلى الأكثر تقدماً على الشكل التالي:

١- حالة الهوية المشتتة: (لا أزمة ولا تعهد) identity Difussion status

ليس لديهم تعهدات واضحة .

٢- حالة الهوية المبتسرة: (تعهد بدون أزمة)identity Foreclosure Status

يبدو أنهم لم يخبر أزمة هوية وفي الأغلب لديهم التزامات وتعهدات محددة من قبل الوالدين. وهم بالمقارنة مع المنجزة يفتقرون لأي فترة أزمة في السابق.

٣- حالة الهوية المؤجلة: (أزمة لكن دون تعهد) identity Moratorium Status

تشير إلى هؤلاء الأفراد المنشغلين حالياً باتخاذ قرارات مع تعهدات غامضة وغير واضحة.

٤- حالة الهوية المحققة: (أزمة وتعهد) Identity Achivement status

حيث يخبر الشخص فترة أزمة ويلتزم بالمهنة والايديولوجية..(Marcia,1967,119)

وقد أوضحت نتائج دراسة حسن مصطفى عبد المعطي(١٩٩٣) وعادل عبد الله محمد (٢٠٠٠) ودراسة عبد الرقيب البحيري(١٩٩٠) عن صدق تصنيف مارشيا حيث يسير نمط تتابع حالات الهوية لدى الشباب الجامعي من تشتت الهوية إلى إعاقة الهوية إلى توقف الهوية ثم تحقق الهوية وهو النمط الأكثر تقدماً.

وإن هناك علاقة موجبة بين العمر وحالة الهوية حيث كشفت دراسة عادل عبد الله محمد (٢٠٠٠) عن أن أساليب مواجهة أزمة الهوية تختلف بين طلاب السنة الأولى وطلاب السنة الرابعة، فقد كانت أساليب مواجهة أزمة الهوية لدى طلاب السنة الرابعة أكثر نضجاً، كما كشفت دراسة عبد الرقيب البحيري (١٩٩٠)عن وجود فروق في درجات الهوية بين طلبة الفرقة الأولى و طلبة الفرقة الرابعة لصالح طلبة الفرقة الرابعة.

٤- الخصائص المميزة لكل حالة من حالات الهوية:

بناء على ما توافر من أدبيات حول ما يتميز به الأفراد المصنفون في كل حالة من حالات الهوية وأيضا ما كشفت عنه نتائج بعض الدراسات الامبريقية التي اهتمت بحالات الهوية وعلاقتها ببعض المتغيرات، يعرض فيما يلي لبعض الخصائص الخاصة بكل حالة من حالات الهوية :

أ- بالنسبة لحالة الهوية المشتتة:

ليس أفراد هذه الحالة تعهدات واضحة وهم مقارنة مع حالة الهوية المعلقة يفتقرون لكل من الشعور بالنضال والكفاح والمحاولات لاتخاذ وعمل التزامات وتعهدات. (Marcia,1967,119)

ويفتقر هؤلاء الناس للثبات والاستقرار وللالتزام بهوية لكنهم لا يبدو أنهم يفكرون بذلك ولا ينشغلون بأي نضال لتشكيل الهوية . ويمكن أن يكونوا على حافة أو حدود المرض العقلي. كما يميلون إلى أن يكونوا مراهقين بشكل مستمر . فالأفراد الذين ينجحون بأسلوب الحياة غير الملتزم في المراهقة والذين ربما ينشدون الاطالة في بحثهم لفترة بعد أن يشكل الاخرون هوية الراشد فإنهم ربما يتجنبون العلاقات الطويلة التي تقود إلى الزواج ويؤجلون الاختيارات المهنية والقرارات الأخرى التي تميز وتمتن شخصية الراشد. . (Derlega &Winstead &jones, 1999,365)

وهم غير مباليين بتجريب أي دور ليضطلعوا به وربما لديهم صعوبة بمواجهة متطلبات المراهقة االعادية والمألوفة كاتمام الواجبات المدرسية وايجاد وظيفة والتفكير بالمستقبل كما أنهم ينتقلون من أحد العلاقات الجنسية أو الأفلاطونية الى أخرى من دون أي التزام أو انفعال.(Berger,2001,436,437)

كما أن استدلالهم الأخلاقي غير ناضج ومندفعين وتفكيرهم مشوش ولديهم صعوبة في تحمل المسؤولية في حياتهم الخاصة وعلاقاتهم في الأغلب سطحية ومشتتة (Newcombe, & Mussen & Conger & Kagan &Huston,1996,458).

ويسيرون في حياتهم بلا أهداف محددة، وتقديرهم لذاتهم منخفض.(علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٥٠٩). حيث كشفت دراسة مارشيا ١٩٦٧، وعادل عبد الله محمد ٢٠٠٠، وعبد الرقيب البحيري ١٩٩٠ عن أن تقدير الذات لدى أفراد الهوية المشتتة منخفض.

كما أنهم أكثر تركيزاً على أنفسهم وأقل رغبة في كشف ذاتهم للآخرين كما تبين من دراسة آدامز وأبراهام وماركستورم(١٩٨٧).

كما تبين من دراسة مارشيا وفريدمان (١٩٧٠) عن أن أفراد الهوية المشتتة كأفراد الهوية المبتسرة إنجازهم ضعيف على مهمة اكتساب مفهوم الشدة وهم حساسون للتلاعب بتقدير الذات.

وقد كشفت دراسة محمد عبد الرحمن (١٩٩٨)ج٢ عن وجود علاقة سلبية بين تشتت الهوية الايديولوجية والتنظيم الذاتي . وتشتت الهوية الاجتماعية وكل من التآلف والسيطرة والاندفاعية .

أما فيما يتعلق بالتواصل مع الوالدين فقد كشفت دراسة منى محمد قاسم محمد اسماعيل (٢٠٠٠) عن عدم وجود فروق دالة في متوسط درجات تواصل المراهقين والمرهقات مع والديهم بين مجموعة المبتسرين ومجموعة مشتتي الهوية.في فئات (إناث-الأب)،(إناث-الأم)،(ذكور-الأم). كما أسفرت عن عدم وجود فروق دالة في متوسط درجات تواصل المراهقين الذكور مع الأب لصالح مجموعة الهوية المبتسرة بمقارنتها بمجموعة الهوية المشتتة.

ب- بالنسبة لحالة الهوية المبتسرة:

يصنف المراهقون عادة في حالة الهوية المبتسرة حتى تبدأ الأزمة وفي حال لم تحدث الأزمة فإن الشخص يبقى في حالة الهوية المبتسرة . ويميل هؤلاء الأفراد لأن يظهروا كناضجين على نحو غير معتاد، فعلى الرغم من أنهم مازالوا مراهقين إلا أن لهم قيماً وخططاً ووجهات نظر الراشدين لكن ذلك يبدو وهماً وخداعاً .ومعظمهم يميلون لأن يكونوا متصلبين وغير مرنين وفي حالة دفاع، ومتقلقلين.وهم على العكس تماماً من أفراد الهوية المؤجلة يميلون لأن يكونوا غير مهتمين بالأفكار الجديدة أو باختبار أساليب الحياة. وصلابتهم قد تسبب لهم مشكلات عندما يمر الفرد بظروف شدة أو عندما يحاول تشكيل علاقات حميمية . (Derlega &Winstead &jones, 1999,365)

من المظاهر السلبية لأفراد الهوية المبتسرة أن إحساسهم بتقدير الذات يستند بشكل كبير إلى كيفية إدراك الآخرين لهم. وهم أكثر طاعة وأقل استقلالية من الآخرين . وهم أقل استغراقاً في التفكير وأقل تأملاً وأكثر سطحية وتقليدية وهم أقل ألفة وحميمية في العلاقات مع الجنس نفسه والجنس المعاكس. وعلى الرغم من أنهم لا يختلفون عن نظرائهم في الذكاء

عموماً إلا أنهم غير مرنين ولديهم صعوبة في الاستجابة المناسبة عندما يواجهون بمهمات معرفية مجهدة. (Newcombe, & Mussen & Conger & Kagan &Huston,1996,458).

إلا أن هناك بعض المظاهر التي ربما تبدو ايجابية وتميز أفراد حالة الهوية المبتسرة فهم أقل قلقاً من المراهقين الآخرين ولديهم درجة عالية من الاحترام للسلطة. ويميلون لأن تكون علاقاتهم حميمية ومقربين من والديهم خاصة في حالة الذكور والآباء. والديهم بشكل عام يقبلونهم ويشجعونهم بينما في الوقت نفسه يمارسون عليهم ضغط جدير بالاعتبار للانسجام مع قيم الأسرة. وعلى الرغم من أنهم أكثر تقليدية إلا أن ذلك لا يجعلهم أقل تكيفاً من المراهقين الذين يقضون فترة من البحث النشط عن الهوية . (Newcombe, & Mussen & Conger & Kagan &Huston,1996,458).

وقد كشفت نتائج بعض الدراسات (مارشيا ١٩٦٧، عادل عبد الله محمد ٢٠٠٠، عبد الرقيب البحيري ١٩٩٠) عن أن تقديرهم لذاتهم منخفض قياساً مع حالات الهوية المتقدمة. بينما أظهرت دراسة مارشيا وفريدمان (١٩٧٠) عن أن تقدير الذات لدى النساء في حالة الهوية المبتسرة أعلى وأقل في حالة الهوية المحققة.

وربما هم سعداء ومعتدون بأنفسهم، راضون عنها،متحفظون في آرائهم. تقليديون فيما يتعلق باستدلالاهم الأخلاقي وملتزمون بالقيم المهنية والايديولوجية.وهم بشكل خاص يتعهدون القيم الوالدية أو قيم القائد القوي الذي يستطيع أن يظهر لهم الطريق الصحيح. وتكمن قوتهم في جمودهم وتصلبهم. كما أنهم أقل انفتاحاً على الخبرات الجديدة. وهم تقليديون أو ما قبل تقليديون في مستويات الحكم الخلقي. (Kroger,1996,37)

فقد كشفت دراسة حسين عبد الفتاح الغامدي(٢٠٠١) أن لهؤلاء الأفراد من الذكور من طلاب المراحل المتوسطة والثانوية والجامعية بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، وتتراوح أعمارهم بين (١٥-٢٥) سنة درجات منخفضة على التفكير الأخلاقي وذلك على المستوى الايديولوجي والاجتماعي والكلي للهوية.

كما كشفت نتائج دراسة (مارشيا١٩٦٧، ودراسة مارشيا وفريدمان ١٩٧٠) عن أن أفراد الهوية المبتسرة تسلطيون في اتجاهاتهم إلى حد كبير. وأقل استقلالية وردود فعلهم مبنية على آراء الآخرين، ويميلون للبحث عن الاستحسان، غير أنهم أقل قلقاً نتيجة التزامهم الصلب بالقيم التسلطية.

كما كشفت دراسة محمد السيد عبد الرحمن(١٩٩٨)ج٢ عن وجود علاقة سالبة بين الهوية المبتسرة الايديولوجية والاجتماعية وكل من التخيل وكفاية الذات في حين تميز أفراد

الهوية المبتسرة بالثبات الانفعالي ، حيث كشفت الدراسة عن وجود علاقة موجبة بين الهويـــة المبتسرة والثبات الانفعالي.

ج- بالنسبة لحالة الهوية المؤجلة:

تشكل حالة الهوية المؤجلة حالة متقدمة من حالات الهوية. ينشغل خلالهـــا الأفـــراد ويكافحون لتشكيل هويتهم الخاصة. ويتميزون غالبا بكثرة التفكير والاستغراق فيه وبالانفتـــاح على ما هو جديد من أفكار وأساليب حياتية وغالبا ما نجدهم يغيرون شخصياتهم وأساليبهم من يوم لآخر نتيجة جهودهم في تجريب طرق مختلفة وهويات بديلة دون الالتزام بـــأي واحـــدة إضافة إلى ردود فعلهم وردود فعل الآخرين لذلك.وقد يمضي المراهق عدة سنوات وهو فـــي حالة التأجيل مع حد أدنى من الالتزامات والتعهدات حيث تمنحه سنوات الجامعة أو الجـــيش أو بعض المؤسسات الأخرى الفرصة لهذا التأجيل فينمو في جوانب متعددة ولكن من دون أن يندمج بالمجتمع هكذا حتى يثبت على اختيار واحد ويتخذ لنفسه تعهدات والتزامـــات مهنيـــة وايديولوجيـــــــة. (Berger,2001,437) & (Marcia,1967,119) & (Derlega &Winstead &jones, 1999,364)

ويتميز المراهقون في حالة الهوية المؤجلة والمحققة بأنهم يملكون قاعدة آمنة تتمثـــل في علاقات وثيقة مع الآباء في المنزل مع قدر معقول من الحرية فـــي أن يكونـــوا أفـــراداً مستقلين فيما يتعلق بحقوقهم الشخصية وفي مناقشاتهم وتعاملاتهم مع افراد الأسرة. وهـــؤلاء ينمون إحساساً بالقرب والاحترام مع آبائهم مع القدرة على الاختلاف معهم ويجدون التشـــجيع في أن يقارنوا وجهات نظرهم ومنظوراتهم الخاصة بتلك التي عند الآخرين ولهم مساحة من الحرية تسمح بالتقييم وبالتغيير في وجهات نظرهم. (علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٥١١).

وقد كشفت دراسة منى محمد قاسم محمد (٢٠٠٠) عن أن ذوي الهوية المؤجلة مـــن الذكور والإناث أفضل في تواصلهم مع والديهم عند مقارنتهم بذوي الهوية المشـــتتة. وعـــن وجود فروق دالة في متوسط درجات تواصل المراهقات مع الأب من ذوات الهوية المؤجلـــة بمقارنتها بذوات الهوية المبتسرة في تواصلهم مع الأب.

أما عن الخصائص المميزة لهم فربما يكونوا متقلبـــين وعـــاطفيين فـــي علاقـــاتهم الشخصية،على حين يمتلكون القدرة على الألفة والحميمية.وبطرق عديـــدة يشـــبهون الأفـــراد المحققين للهويـــــــــة.

ولديهم مستويات عليا من الاستدلال الأخلاقي كما لا يعتمدون على الآخرين في اتخاذ القرارات. (Kroger,1996,36)

وقد كشفت دراسة مارشيا (١٩٦٧) عن أنهم أكثر قلقاً من أفـــراد الهويـــة المحققـــة والمبتسرة. ولديهم إحساس ثابت بتقدير الذات، فدرجاتهم أعلى مـــن نظـــرائهم فـــي رتبتـــي

الانغلاق والانتشار على مقياس تقدير الذات، كما كشفت عنه دراسة كل من مارشـــيا(١٩٦٧) وعادل عبد الله محمد (٢٠٠٠) ودراسة عبد الرقيب البحيري (١٩٩٠)

كما كشفت دراسة محمد السيد عبد الرحمن (١٩٩٨) عن وجود علاقة موجبـــة بـــين تعليق(تأجيل) الهوية الايديولوجية والاجتماعية وكل من عـــدم الأمـــان والحساســـية وبـــين تعليق(تأجيل) الهوية الاجتماعية والعامة والتوتر. كما كانت العلاقة سالبة بين تعليق الهويـــة الايديولوجية وكل من الثبات الانفعالي والسيطرة والمغامرة والتنظيم الذاتي.

د- بالنسبة لحالة الهوية المحققة:

يتصف الأفراد الذين يصنفون في حالة الهوية المحققة بالنضـــج والمقـــدرة ويكـــون إحساسهم بهويتهم قوياً ومتيناً ويســـتند علـــى الإنجـــاز والكفـــاح الشخصـــي. (Derlega &Winstead &jones, 1999,364).

والفرد الذي يصنف في هذه الحالة هو فرد حدد من يكون فكانت توقعاته المســـتقبلية امتداداً واستمراراً لخبراته الماضية، وهو فرد عمل على تحقيـــق اســـتقلاله وتفـــرده وعلـــى الاضطلاع بالدور الاجتماعي المنوط به من دون تراخ أو سلبية وتوجه نحو أهداف محـــددة وفق منظور زمني محدد، كما لديه القدرة على تكوين علاقات ناضجة مع الجنس الآخر ولـــه فلسفته في الحياة ومواقفه الخاصة.(عادل عبد الله محمد،٢٠٠٠،٥٩،٦٠). كما يتميز المراهق المنجز لهويته بكونه أكثر توافقاً وأكثر تمتعاً بالصحة النفسية. حيث يرتبط تحقيق الهوية مـــع حال الرفاهية السيكولوجية بما تشتمل عليه من جوانب القوة والايجابية مثـــل تقـــدير الـــذات المرتفع والتفكير المتطور حول القضايا الاجتماعية والأخلاقية والقدرة على تقبـــل الآخـــرين والتعاون معهم. (علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٥٠٩)

فقد كشفت بعض الدراسات الامبريقية كدراسة كل من مارشيا (١٩٦٧) وعادل عبد الله محمد (٢٠٠٠) ودراسة عبد الرقيب البحيري (١٩٩٠) عن وجود علاقة موجبة بين الهوية وتقدير الذات، فقد ســـجل هـــؤلاء الأفـــراد درجـــات أعلـــى مـــن نظـــرائهم فـــي رتبتـــي الانغلاق(الابتسار) والانتشار(التشتت) على مقياس تقدير الذات. كما كشفت دراسة عبد الرقيب البحيري (١٩٩٠) عن وجود علاقة سالبة بين الهوية والقلق. كما كشفت دراسة حسين عبـــد الفتاح الغامدي (٢٠٠١) أن لهؤلاء الأفراد من الذكور من طلاب المراحل المتوسطة والثانوية والجامعية بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، وتتراوح أعمارهم بـــين (١٥-٢٥) سنة، درجات عليا على التفكير الأخلاقي وذلك على المستوى الايديولوجي والاجتماعي والكلي للهوية.

كما كشفت دراسة حسن مصطفى عبد المعطي (١٩٩٣) عـــن أن طـــلاب الكليـــات المختلطة ، وكذلك المشاركون في الأنشطة والتنظيمات الطلابية أعلى في مستويات الهوية من

الآخرين.كما أن هناك علاقة موجبة بين مستوى التحصيل الأكـاديمي والتوافـق الدراسـي وحالات الهوية الأكثر نماء.

وإن المراهقين محققي الهوية الايديولوجية يتسمون بعدم الامتثال للآخـرين.وهنـاك علاقة موجبة دالة بين إنجاز(تحقيق) الهوية الايديولوجية والاجتماعية والسيطرة والمغـامرة والتنظيم الذاتي والثبات الانفعالي، وعلاقة سالبة بين إنجاز(تحقيـق) الهويـة الايديولوجيـة والاجتماعية وكل من عدم الأمان والتوتر كما كشفت عنه دراسة محمد السيد عبـد الـرحمن (١٩٩٨)ج٢.

ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الأفراد أكثر استقلالية وإبداعاً، وتفكيرهم أكثر تعقيد من المراهقين في الحالات الأخرى ويظهرون أيضا قدرة أكبر على التآلف والمودة مع الآخرين، ويكونون أكثر ثقة بالهوية الجنسية ومفهومهم عن ذاتهم أكثر ايجابية واستدلالهم الأخلاقي أكثر نضج. وبشكل عام علاقاتهم مع والديهم ايجابية. وهم يفكرون مليـاً بالاختيـارات المهنيـة والايديولوجية، ويصلون إلى قرارات يتعهدونها وهم أقل خضوع لآراء الاخرين. ويختـارون تخصصات صعبة نسبياً ومشاعرهم السلبية (القلق والحقد والاكتئاب) تبدو أقل من المفتقـرين لهويـة ثابتـة. (Newcombe, & Mussen & Conger & Kagan &Huston,1996,458,459)

كما يتميز أسلوبهم بالاتصال والارتباط بالعالم بالمرونة والقوة. وهم كثيـرو التفكيـر وغالباً ما يتأملون تفكيرهم. وينجزون أعمالهم بشكل جيد وتحت ظروف من الشـدة دون أن تشل حركتهم.كما يتميزون بالانفتاح على الخبرات الجديدة.(Kroger,1996,35)

وفي سياق القدرات المعرفية فإنهم يؤدون بشكل جيد تحـت ظـروف مـن الشـدة ويستخدمون الإستراتيجيات المنطقية والعقلانية والتخطيطيات وإستراتيجيات اتخـاذ القـرار المنطقية أكثر من حالات الهوية الأخرى. (Kroger,1996,35)

وقد أشارت دراسة عبد الرقيب البحيري (١٩٩٠) إلى عدم وجود ارتباط بين الهوية وإدراك الطلاب والطالبات لمعاملة الآباء لهم. على حين كشفت دراسة أدامز وجونز(١٩٨٣) وجود علاقة بين المعاملة الوالدية وحالات الهوية، وأشارت إلى أن الأفراد محققي الهوية ومؤجلي الهوية يدركون آباءهم على أنهم عادلون في ممارسة العقاب، ومستوى استخداهم للمديح كان في الحد الأدنى، كما أنهم يدركون أن أمهاتهم كنّ أقا تحكماً وسيطرة.

كما أن تواصل المراهقين والمراهقات المحققين للهوية مع والديهم أفضل بالمقارنة مع حالات الهوية الأخرى، وذلك في فئات(الذكور-الأب)،(الإناث-الأب)،(الذكور-الأم)،(الإناث-الأم) باستثناء عدم وجود فروق دالة بين محققي الهوية ومؤجلي الهوية في فئة (الذكور- الأم) كما كشفت عنه دراسة منى محمد قاسم محمد (٢٠٠٠).

وليس للترتيب الميلادي علاقة بتشكيل الهوية . بينما هناك علاقة مع حجم الأسرة ففي الأسرة الصغيرة نجد نسبة كبيرة من مؤجلي الهوية ومبتسري الهوية، كما أن هناك تأثيراً لنوع الرعاية الوالدية وكذلك المستوى الاجتماعي الاقتصادي المرتفع ، فقد أشارت دراسة حسن مصطفى عبد المعطي(١٩٩٢) إلى أن نسبة عالية من منجزي الهوية ومؤجلي الهوية ينحدرون من أسر ذات مستوى اجتماعي اقتصادي مرتفع، بينما النسبة الأكبر من مشتتو الهوية ينحدرون من أسر ذات مستوى اجتماعي اقتصادي دون المتوسط والمنخفض.

ومن الجدير بالذكر أن مارشيا (١٩٦٦) اعتمد على أسلوب المقابلة شبه البنائية في تصنيف الأفراد في إحدى حالات الهوية، وقد أجريت دراسات عديدة استخدمت فيها مقابلة مارشيا.

وقد تبين فيما بعد، نتيجة العديد من الدراسات الطولية ومن ضمنها دراسة واترمان وكيري وواترمان(١٩٧٤) watermam & Geary & Waterman أنه مع الوقت ربما يتقدم الفرد أو يتراجع صعوداً أوهبوطاً وفق حالات الهوية المختلفة فبرزت الحاجة إلى مقياس موضوعي لقياس الحالات الانتقالية للهوية إضافة إلى تلافي القصور الذي يميز إجراء أي مقابلة، سواء فيما يتعلق:

١- بانخفاض معامل الصدق ومعامل الثبات.

٢- الذاتية في تفسير نتائج المقابلة.

٣- تتطلب المقابلة جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً وبذلك يكون من المتعذر الاستناد اليها في حالة العينات الكبيرة.(حامد عبد السلام زهران،٢٠٠٢،١٨٦).

ونيجة لذلك قام آدامز وزملاؤه (١٩٨٩) بتطوير مقياس موضوعي لقياس رتب الهوية. ويتميز هذا المقياس بكونه:

١- يسهل استخدامه مع العينات الكبيرة.

٢- يقيس الحالات الانتقالية لرتب الهوية.

٣- يمكن تطبيقة على المراهقين وأوائل الرشد المبكر.

٤- لا يتأثر تقدير الدرجة الخاصة بكل مفحوص بمصحح المقياس.

٥- يسهل من خلاله وضع الفرد في حالة من حالات الهوية.(محمد السيد عبد الرحمن،١٩٩٨،٤٥).

كما يتضمن هذا المقياس بعدين هما البعد الايديولوجي Idelogical، والبعد الاجتماعي أوالمرتبط بالعلاقات البينشخصية Interpersonal

حيث يرى أريكسون أنه من الممكن القول إن تشكيل الهوية يتضمن جانبين هما الذات والأنا.(Erikson,211,1968)

وقد أوضح ذلك جروتيفانت وثوربك ومير (١٩٨٢) حيث ذكروا أن الهوية تتضمن بعدين هما: البعد الايديولوجي، والبعد الاجتماعي أوالمرتبط بالعلاقات البينشخصية. (Adams,14,1998)

وعلى ذلك تشمل الهوية الايديولوجية كما أوضح جروتيفانت وأدامز (١٩٨٤): المهنة والدين وفلسفة الفرد في الحياة والقيم والأهداف والمعايير.بينما تشمل الهوية الاجتماعية أو هوية العلاقات البينشخصية على جوانب الصداقة ومواعدة الجنس الآخر والأسلوب المختار للاستجمام.(Adams,14,1998)

إن الدراسات حول موضوع الهوية بشكل عام، وحول حالات الهوية بشكل خاص ما زالت تستهوي العديد من الباحثين. فالهوية مفهوماً حيوياً في حياة الفرد، يلعب دوراً كبيراً في تطوير الشخصية السليمة. ولاسيما أننا نعيش في ظل التكنولوجيا وما تخلفه وراءها من تراكم معرفي هائل يميز العصر الحديث ويعرض الفرد لضغوط نفسية وربما فيزيولوجية لإخفاقه في ملاحقة التغيرات السريعة والهائلة التي تقتضيها التطورات المستمرة للتكنولوجيا فتتجاوز قدرة الفرد على التلقي والاستيعاب وتتطلب منه توسيع أفقه وضرورة اتخاذ حلول أكثر تكيف من خلال الانفتاح على ما يطرحه هذا العصر من بدائل وخيارت تحتم عليه إعادة النظر في العديد من الاتجاهات والقيم التي تبناها ليعيد تجريب بعض الأدوار ويفاضل بينها ويختار من بين البدائل الجديدة المطروحة، فيعيد تحديد ذاته في بعض المجالات ويحاول الإجابة على بعض جوانب السؤال من أنا؟ ولكن بأسلوب أكثر تكيفاً.

وقد اقترح **فالد (١٩٩٦) Valde** رؤية جديدة تقتضي إضافة حالة خامسة لحالات الهوية الأربع وهي حالة الانغلاق Closure مع الأخذ بالحسبان الحالات الانتقالية، وذلك لبضعة أسباب: أن الأزمة التي يمر بها الفرد ربما تنطوي على مشكلات أكثر مما ينبغي فتكون صعبة الحل، أو ربما ينجز تعهدات والتزامات غير عملية لوقت طويل حتى إنه يشعر بضغط نتيجة هذه التعهدات. هنا يمكنه إعادة التحديد السابق للذات، أو يسيطر بطريقة عقلية مغلقة على البدائل المتوفرة في البيئة، أو أن الفرد يكون عاجزاً عن تحمل الحالة المؤقتة من التعهدات المنجزة فينغلق ببساطة على هذه التعهدات متمسكا بالثقة والإيمان بكمالها وبقائها.

وتتضمن الإضافة الجديدة (الحالة المغلقة) لحالات الهوية مراجعة للتحديد العملي لإحدى حالات الهوية والتي هي حالة الهوية المنجزة وذلك وفق ثلاثة معايير بدلاً من معيارين وهذه المعايير الثلاثة هي:

١- الاستكشاف: Exploration أي مرور الفراد بفترة استكشاف.

٢- الالتزام المؤقت(غير النهائي): Tentative Commitment بمعنى أن الفرد اتخذ لنفسه تعهدات والتزامات حدد من خلالها ذاته، لكنه رغم ذلك هو مدرك بأن هذه الالتزامات مؤقتة وغير نهائية إلى حد ما.ضمن نطاق ما.

٣- الانفتاح نحو البدائل: Openness To Alternatives حيث يبقى الفرد منفتحاً نحو استكشاف مستمر أو على الاقل مهتم بذلك إلى حد ما.

ووفقاً لذلك تصبح حالات الهوية وفق ترتيبها من الحالات النمائية الأدنى إلى الحالات الأكثر تطوراً على الشكل التالي:

١- حالة الهوية المشتتة: Identity Difussion status

٢- حالة الهوية المبتسرة: Identity Foreclosure status

٣- حالة الهوية المغلقة: (إنجاز منغلق). Identity closure status(closed-achieved)

٤- حالة الهوية المعلقة: Identity Moratorium status

٥- حالة الهوية المنجزة:(إنجاز منفتح).Identity achieved status (open achieved)

وتميز العبارات التالية أفراد الهوية المغلقة:

"أعرف ما أؤمن به و لا أحتاج لسماع أي شيء آخر."

"لا يمكنني تخيل أي اختلاف تغيير باعتقاداتي."

كمايتميز أفراد الهوية المنجزة المنفتحة بأنهم أكثر تكيفاً من أفراد الهوية المغلقة فقد كشفت نتائج دارسة فالد(١٩٩٦) عن أن أفراد الهوية المنجزة حساسون، وواقعيون، وتلقائيون كما أنهم أكثر قبولاً لذاتهم، وتوجيههم داخلي أكثرمن أفراد الهوية المغلقة. ويعدّ ذلك فالد أول خطوة في صدق مراجعة تحديد الهوية المنجزة والحالة الجديدة المغلقة. بينما لم يكن هناك فروق دالة بين أفراد الهوية المغلقة وأفراد الهوية المعلقة. ويرجع الباحث ذلك إلى الإخفاق في التمييز بين هذه التحديدات للهوية.

٥- العوامل التي تؤثر على تشكيل الهوية عند المراهق:

على الرغم من أن البحث عن الهوية واكتساب إحساس واضح بها أمر وثيق الصلة بمرحلة المراهقة، إلا أن هذه العملية طبقاً لأريكسون عملية مستمرة تمتد جذورها في المراحل المبكرة من ولادة الرضيع وتستمر حتى المراحل الأخيرة من حياة الكهولة لذلك تعدّ بمنزلة المقوم لكل مراحل دورة الحياة الإنسانية. حيث يعكس الأسلوب المتبع في مواجهة أزمة البحث عن الهوية الحلول النمائية لكل المراحل السابقة، ويخدم كأساس لتطور الشخصية مستقبلاً. (Newcombe, & Mussen & Conger & Kagan &Huston,1996,456) & (Kroger,1996,31).

وهناك العديد من العوامل التي يمكن أن تؤثر على تشكيل الهوية عند المراهق ومن هذه العوامل:

١- **السياق المحيط:** يساعد الوسط الاجتماعي المحيط بالفرد في تشكيل الهوية وذلك من خلال:

- ما يوفره من فرص الإحتكاك بالآخرين والتعرض لآراء متباينة والتشجيع على التفكير باستقلال في القضايا.(علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٥١١).
- بتقديم قيم صمدت مع اختبار الزمن واستمرت تؤدي وظيفتها.
- بتقديم بنيات اجتماعية وأعراف تسهل الانتقال من الطفولة إلى الرشد. (Berger,2001,436)

٢- **النمو المعرفي:** يعتمد اكتساب الفرد لإحساس واضح بالهوية على المهارات المعرفية والتقدم المعرفي الذي يحرزه المراهق، حيث يواجه المراهق الصغير مجموعة من التغيرات والمتطلبات الجنسية والنفسية والفيزيولوجية والاجتماعية والعقلية والمعرفية المتنوعة والجديدة وتلعب هذه التغيرات المعرفية دوراً نقدياً وفعالاً في مساعدة المراهق في رؤية نفسه وتدبر أفكاره بصورة موضوعية، وفي التخطيط للمستقبل التعليمي والمهني ومواجهة المتطلبات المهنية والايديولوجية وفي تخيل وتأمل الهويات المستقبلية الممكنة وكل ذلك من خلال تمكنه من القدرة الجديدة على التفكير المجرد والافتراضي والتي تمكنه من إثارة الأسئلة المتضمنة في أزمة الهوية وعلى إيجاد اجابات مقنعة لها من خلال تنوع واسع من الاحتمالات والبدائل وتضييق الاختيارات ليكتسب شعوراً متسقاً ثابتاً بالهوية. (علاء الدين كفافي،١٩٩٧،٥١٠) & (فؤاد أبو حطب وآمال صادق،١٩٩٤،٢٥٣)

(Newcombe, Mussen , Conger , Kagan, &Huston, 1996, 456).

فالتفكير التجريدي يسمح للمراهق باستخدام استدلال متقدم بسهولة وعمليات منطقية فيما يتعلق بالمسائل الاجتماعية والايديولوجية. وهذا يبدو واضحا في براعة المراهق المتزايدة واهتمامه في التفكير حول العلاقات البينشخصية والسياسة والفلسفة والدين والأخلاق والموضوعات التي تتضمن مفاهيم مجردة كالصداقة والديمقراطية والجمال والإخلاص . فنمو التفكير الاجتماعي عامة يشير إلى أن المعرفة الاجتماعية خلال المراهقة ترتبط مباشرة بازدياد قدرة الفرد الصغير على التفكير التجريدي .(Steinberg,1993,62)

وفي كتابات كل من بياجيه وأريكسون ما يشير إلى أن العمليات الشكلية هي مطلب أساسي لتشكيل الهوية وأن التغيرات التي تحدث في الشخصية وفي المجال الاجتماعي في المراهقة هي نتيجة لتطور بنية العمليات الشكلية فالقدرة على التفكير الافتراضي تسمح

لاهتمام المراهق بأن يمتد ما وراء ما يمكن أن يخبره فورا إلى الأخذ بالحسبان العديد من الاحتمالات الاجتماعية.(Adams,Gullotta,Montemayor,1992,179)

وفي هذا يذكر أريكسون "إن اكتساب المراهقين للعمليات الشكلية التي أشار لها بياجيه يعني أن الشباب يمكنهم الآن الانشغال بالقضايا الافتراضية ويمكنهم التفكير بالمتغيرات المحتملة والعلاقات الممكنة كما أن تفكيرهم أصبح مستقلاً عن المحسوسات المتطلبة سابقاً. فالتوجيه أو التكييف المعرفي لا يشكل عملية تضاد مع الهوية إنما هو متمم لحاجة الشخص الصغير إلى تطوير إحساس بالهوية. فمن بين كل العلاقات المحتملة والمتخيلة على المراهق الصغير أن يصل إلى سلسلة من البدائل الشخصية والمهنية والجنسية والالتزامات الايديولوجية التي تضيق مع الوقت"..(Erikson,1968,245)

وقد دعمت دراسة ليدبيتر و ديون(١٩٨١) Leadbeater & Dionne أهمية النمو المعرفي في تشكيل الهوية فقد أسفرت الدراسة عن وجود علاقة ارتباطية موجبة بين حالات الهوية الأكثر نماء ومقدار النمو المعرفي الذي يملكه المراهقون من الذكور، فقد كان أداء المراهقين الذين صنفوا في حالة تحقيق الهوية أو في حالة الهوية المؤجلة أفضل من هؤلاء الذين صنفوا في حالة الهوية المبتسرة وفي حالة الهوية المشتتة على مقياس تفكير العمليات الشكلية. وكذلك دعمت دراسة واكنر (١٩٨٧) Wagner وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة بين الاستدلال الترابطي combimatorial وحالة الهوية.

فالمراهقون الذين تمكنوا من التفكير الشكلي يمكنهم القيام ببحث نشط عن المعلومات الهامة ومعالجتها ومن ثم الاختيار المناسب من بين بدائل محتملة بعد تفحصها واختبارها ذهنياً وينطبق هذا على من خبروا أزمة الهوية المصنفين في حالة تحقيق الهوية أو في حالة الهوية المؤجلة.

وفي المقابل فإن العجز عن فحص عدة بدائل محتملة للهوية لا يسمح للفرد بأن يتقدم من خلال حالة التأجيل، ويبقى مقيداً محصوراً في حالة الابتسار والتشتت . فمثلاً قد يستأثر الفرد بمهنة مبنية على افتراضات الوالدين لأنه لا يمكنه أن يتخيل نفسه يؤدي أدواراً مهنية متعددة (كالمراهقين المصنفين في حالة الهوية المبتسرة) أو ربما يصنف الفرد في حالة الهوية المشتتة بسبب عدم استقراره على مهنة أو نتيجة لاستيائه من الوظيفة وعدم رضاه عنها وذلك بسبب الاختيار العشوائي أو المندفع.(Adams &Gullotta & Montemayor,1992,180) ومع ذلك فإن مسألة العلاقة بين النمو المعرفي والهوية ما زالت موضع جدل وتحتاج لمزيد من الدراسات خاصة أن بعض الدراسات لم تكشف عن وجود علاقة بينهما كدراسة كل من كابل (١٩٧٦) Cauble وبيكلي(١٩٩٦) Bigley، بينما دراسات أخرى كشفت عن علاقة

ارتباطية سالبة بين الهوية والنمو المعرفي كدراسة كل مـــن دراســـة ســـتيرنكلار(١٩٨٥) Sternklarبازينسكي (١٩٩١) Buczynski

٣- التمركز حول الذات:

إن العلاقة بين التمركز حول الذات والهوية وتحديد اتجاه هذه العلاقة كما تبين ســـابقاً من نتائج الدراسات السابقة أثناء تحديد مشكلة الدراسة، لايمكن الجزم بها حتى الآن. فمجـــال البحث فيه ما زال يستهوي الكثير من الباحثين سواء من خلال التحقق منها أو بناء تصورات جديدة حول طبيعة العلاقة التي تربط بينهما، أو من خلال اقتراح تفسيرات بديلة لمفهوم الكيند عن التمركزحول الذات.

فقد تم طرح نظرية النظرة الجديدة من قبل لابســـلي (١٩٩٣) New Look مقابـــل نظرية النظرة القديمة من قبل الكيند Elkind حول التمركز حول الذات، وتفترض هذه النظرة الجديدة: أن الجمهور المتخيل والتلفيقات الشخصية تساعد المراهق على الانفصال النفسي عن الوالدين، وأن هذ الانفصال والفردية من المهام النمائية للمراهق كما أنه خطوة ضرورية نحو اكتساب إحساس ناضج بالهوية.

بينما اقترح أوكونور(١٩٩٥) O'connor تصوراً آخر يرى التمركز حول الـــذات كمنتج لعملية تطور الهوية، وليس كمنتج سلبي للنمو المعرفي كما يراه الكيند. واستناداً إلـــى ذلك افترض وجود علاقة موجبة بين الهوية المنجزة وبين التمركز حول الذات. حيث يرى أنه خلال بحث المراهق عن إحساس بالهوية الشخصية، ومحاولته الإجابة عن السؤال من أنـــا؟ وماذا سيفعل في حياته؟ فإنه ربما يصبح أكثر وعي لذاته في المواقف الاجتماعية وذلك بسبب اهتماماته الشخصية الخاصة بمن يكون وبسب افتراضه أن تفحص الآخرين له هـــو اشـــارة لشخصيتة الفردية التي تتضح في تحقيق الهوية. فالاهتمام بالذات والمتطلبـــات الاجتماعيـــة لعملية تطور الهوية ربما تقود المراهقين إلى تداخل وتشويش اهتماماتهم وانشغالاتهم الخاصة باهتمامات وانشغالات الآخرين . وشعورهم بالتفرد ربما ينشأ من حقيقة أن يكون لهم هوية أو فرصة لايجاد هوية شيء جديد جداً بالنسبة لهم.فهم من قبل أبدا لم يتعاملوا مـــع مســـؤوليات وصعوبات أو رغبات نشأت من ضرورة أن يكون لهم خيارات ومن ضرورة تحديد وتعريف ذاتهم قياساً للآخرين.(O'connor,1995,206,207,221).

وقد دعمت دراسة أوكونور (١٩٩٥) هذا التصور فقد وجد علاقة موجبة دالة بين التمركز حول الذات كما قيس بمقياس AES والهوية المنجزة وأزمة الهوية. وأيضا كانـــت العلاقـــة موجبة دالة بين التمركز حول الذات كما قيس بمقياس IAS والهوية المنجزة وذلك حين ضبط متغير تقدير الذات احصائياً.

وفي دراسة حديثة لكل من بل وبرومنيك(٢٠٠٣) Bell & Bromnick هدفت الى التعرف على سبب قلق المراهقين وانشغالهم حول ماذا يفكر به الاخرون حولهم (سلوك الجمهور المتخيل) وذلك من خلال سؤالهم والسماح لهم بالتعبير عن أنفسهم بشكل مفتوح وحر. كشفت الدراسة عن أن قلقهم كان بسبب اعتبارات واقعية شخصية(تقدير الذات، والثقة بالذات،والهوية) واجتماعية (الاستحسان والدعم الاجتماعي والشعبية).(Bell & Bromnick,2003)

ومن جهة أخرى كان هناك تصور آخر يرى التمركز حول الذات كعاملاً معوقاً لعملية تطور الهوية باعتباره نظيراً سلبياً لمتغير الأخذ بوجهة النظر الاجتماعية والذي افترض من قبل انرايت وديست(١٩٧٩)على أنه من المتطلبات الأساسية في تشكيل الهوية.(Adams &Gullotta &Montemayor,1992,182,184).

وقد دعمت دراسة آدامز وأبراهام وماركستورم(١٩٨٧) (Adams, & Abraham, & Markstrom) هذا التصور فقد كشفت نتائج الدراسة بشكل عام عن أن الأفراد محققي الهوية أقل تركيزاً على ذاتهم، وأقل تمركز حول ذاتهم مقارنة مع الأفراد في حالات الهوية الأخرى الأقل نضجاً (المشتتة ،المبتسرة والمؤجلة).

فالانشغال في التركيز حول الذات ووعي الذات الذي يتجلى في عدم الرغبة في كشف الذات للاخرين يعوق تحقيق الهوية لأنه يثبط القدرة على أخذ وجهة نظر الآخرين والذي افترض كمطلب أساسي في عملية تشكيل الهوية.

كما دعمت دراسة ريان وكازكوسكي(١٩٩٤) جزئياً العلاقة السلبية بين الهوية والتمركز حول الذات باعتبار أن مشاعر الاستمرارية والثبات في هوية الفرد ترتبط عكسياً بخبرة غير متوقعة contingency للذات في عيون الآخرين. حيث كشفت نتائج الدراسة عن أن الأفراد الذين يخافون من كشف الذات الثابتة (درجاتهم عالية على المقياس الفرعي لمقياس التمركز حول الذات IAS الذي يتألف من مقياسين فرعيين الذات الثابتة Abiding-Self والذات العابرة Transient-Self) تكامل هويتهم منخفض وأقل أمناً في إحساسهم بالهوية. بينما لم يرتبط المقياس الفرعي (الذات العابرة) بقضية الهوية.

كما لم تكشف دراسة فاندرورف (٢٠٠٢) Vanderwerf وجود اختلاف دال لتأثير الجمهور المتخيل استناداً إلى الجنس وحالات الهوية (الهوية المشتتة والمبتسرة) أكبر من تأثيره على حالات الهوية (المؤجلة والمحققة).

لذلك وطبقاً لكل ماذكر أعلاه من تصور وتنظير وتراث نفسي حول العلاقة بين الهوية والارتقاء المعرفي، والتمركز حول الذات، تحاول الدراسة الحالية تبين شكل واتجاه العلاقة

بين الارتقاء المعرفي وحالات الهوية، وبين التمركز حول الذات وحالات الهوية، وكذلك شكل العلاقة بين المتغرات الثلاث معاً.

وسوف تتناول الباحثة في الفصل التالي ماتيسر لها من دراسات ذات صلة بمتغيرات الدراسة الحالية، ووضع الفروض في ضوئها.